

أولا..

# الكنيسة

أصل معناها ومغزاها

OBELIKAN.COM

## أصل وفصل كلمة كنيسة

المفترض أساسا في الكنيسة أنها مكان للصلاة فقط ، ولكن الملاحظ أنها إدارة تامة لها موظفين يعملون لجمع ولاء الأتباع ( شعب الكنيسة ) . فهي أشبه بدولة - أو مجلس دولة - لها إداراتها ومؤسساتها الدينية . وسلطاتها على أتباعها ظاهرة وباطنة . ظاهرة على أجساد العباد وباطنة على نفوسهم وأرواحهم . منذ لحظة مولدهم وإلى وفاتهم ، فمن غير طريقها لن يدخل الأتباع في دين يسوع المسيح<sup>(١)</sup> ولا في راحة الآخرة ولن يروا الفردوس الأعلى ولن تُغفر لهم ذنوبهم إلا عن طريق كهنة الكنيسة !!..

ولإحكام السيطرة على شعب الكنيسة ديناً ودنيا اجتمعت المجامع وأصدرت قوانين للإيمان المسيحي عبر التاريخ ، من يحيد عنها يُفصل من الكنيسة ويموت ( مثلوحا ) كافرا طريدا من رحمة الرب يسوع . ومن ثمَّ فقد تمَّ إحكام القبضة على الناس عن طريق قوانين الإيمان والأسرار الكنسية .

ومن المعلوم أنَّ أصول المسيحية كلها يونانية اللغة ، فلا توجد ورقة واحدة من أي مخطوطة مسيحية مكتوبة بلغة المسيح ابن مريم عليه السلام وقومه أي باللغة الآرامية ذات اللسان العربي القديم . ومن هنا يقيد بحثنا بإجراء عمليات الاقتراب الآرامية للنصوص اليونانية . ولكن قبل الشروع في ذلك أسأل نفسي وقارئى الكريم : من أين جاءت كلمة كنيسة العربية ..؟! .

بنظرة مُتَفَحِّصَة إلى الأناجيل نرى المسيح ابن مريم عليه السلام يؤدي عبادته لله هو وأتباعه من المؤمنين في المعبد المُكْرَس للعبادة حسب شريعة التوراة . ولم يكن في عصره ما يُطلق عليه كنيسة ولم يبين كنيسة يُصلى فيها هو وأتباعه من المؤمنين بدعوته . بل بيّن لأتباعه أنَّ المعبد الذي يجب أن يُصلى فيه يُسمَّى بيتا

(١) .. والأمر الغريب أنه لا يوجد اسم للدين الذي جاء به يسوع مذكور في الأناجيل وكتابات العهد الجديد كلها !!.. راجع كتابي " الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام " .

للصلاة حيث قال : " أما كتب أن بيتي بيتا للصلاة يُدعى عند جميع الأمم " ( إنجيل مرقس ١١ : ١٧ ) .

وحسب القواعد المتفق عليها في علم الإيتومولوجي - علم تتبع تاريخ الكلمات اللغوية ومعانيها عبر التاريخ - فإن كلمة كنيسة لم توجد إلا في اللسان العربي . وكنائس الشام والعراق واليمن القديمة شاهدة على ذلك . فكان علماء المسلمين المؤرخين في القرون الأولى يذكرون كلمة كليسيا أثناء نقلهم من كتب أهل الكتاب ، مثل قولهم جاء في " تاريخ كليسيا " ويقصدون تاريخ الكنيسة . فذكروا الكلمة اليونانية ( اكليسيا ) بعد تعريبها بواسطة علماء النصرانية .

ولا أعلم متى دخلت كلمة كنيسة إلى العربية . ولكن هناك شاهد تاريخي قوي نجده في قصة أبرهة بن الأشرم وأصحاب الفيل ، حيث بنى للعرب في صنعاء اليمن معبدا نصرانيا ضخما وأطلق عليه بالعربية الفصحى اسم قَلَيْس ليحج إليه العرب بدلا من كعبة مكة ، فذكر قَلَيْس ولم يذكر كنيسة ، وتلك أقدم وأصح ترجمة عربية لكلمة اكليسيا اليونانية ، حيث تحولت الكاف اليونانية المُشَدَّدة - المكررة - إلى القاف العربية !!..

ويغلب على ظني أن كلمة كنيسة ظهرت أولا في الحبشة ثم انتشرت في بلاد العرب بعد ذلك ، حيث نسمع بها في روايات من هاجر إليها من الصحابة رضوان الله عليهم . في أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ كلمة كنيسة فقالت إحداهن رأيت كنيسة بأرض الحبشة عليها تصاوير فقال رسول الله ﷺ أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوره أولئك شرار الخلق عند الله .

أمّا عن الكلمة اليونانية المستعملة في العهد الجديد فهي اكليسيا أو اكليزيا حسب دقة النطق - والتي تم تعريبها باليمن قبل الإسلام إلى قَلَيْس - فهي تختلف كثيرا في معناها العام والخاص عن كلمة كنيسة العربية حسب اشتقاقاتها اللغوية .

كما أنّ كلمة كنيسة التي يذكرونها في الأناجيل ترجع في تاريخها إلى ما قبل ولادة المسيح بقرون عدّة ، فكان للإمبراطور يوليوس قيصر اكليسيا أي كنيسة

- وهي بمثابة مجلس يتخذ فيه أعضاؤه قوانين البلاد وتشريعاتها - وتلك الكنيسة اليونانية اكلّسيا وُجِدَتْ من قبل المسيح بمائة سنة تقريبا !!..

فعندما كانت الحكومة اليونانية الوثنية تريد أن تصدر تشريعا أو قانونا جديدا ، كانت تدعو لعقد مجمع - اكلّسيا - ( وهي الكلمة اليونانية التي ترجموها إلى كنيسة في العربية ) لإصدار القوانين والتشريعات . فكلمة اكلّسيا اليونانية ليست مكانا للعبادة في أصلها وليس فيها هذا المعنى - بيت للصلاة - لا من قريب ولا من بعيد ، وإنما هي مَجْمَع وثنى لمن كانوا مُؤهلين لإصدار القوانين والتشريعات الجديدة التي تخص البلاد .

أما عن الترجمة العربية الفصيحة قبل الإسلام لمكان العبادة النصراني فهو قُلَيْس<sup>(١)</sup> الذي يحمل في طيات تركيبه اللغوي معنى القِلال ( ق ل ل ) التي يتعبّد فيها الرهبان . والقِلال هي المرتفعات الجبلية المنعزلة حيث ينقطع فيها الرهبان للعبادة بعيدا عن الناس . ونجد ذلك المصطلح في كتب التاريخ النصراني القديم وبعض الكتب التي تتكلم عن سير الرهبان ووصف قِلالهم ، وإن تحولت الكلمة حديثا إلى قَلَايَة وقَلَايَات بدلا من قلال !!..

أما بخصوص حرف السين في آخر كلمة قُلَيْس فهو ليس من أصل الكلمة وإنما هو لاحقة إعراب يونانية تُرِكَت للدلالة على تعريب الكلمة وللإشارة إلى أنها معربة عن اليونانية !!..

ونعود إلى كلمتنا كنيسة لنبحث فيها وعنها ..

يُحاول مسيحيو الشام العرب أن يُرجعوا أصل كلمة كنيسة في اشتقاقها إلى الجذر الأرامي ( ك ن ش ) ومنه الفعل ( كَنَشُ ) بمعنى جمع وجماعة أو مجموعة من الناس . والكنيسة عندهم بمعنى جماعة المؤمنين . والجذر كنش في العربية معناه قريب من جهة وبعيد من جهات أخرى .

(١) .. القليس اسم للكنيسة التي بناها أبرهة بن الأشرم لنصارى اليمن وأراد أن يفرض الحج إليها على العرب . فكانت حملته المشهورة على بيت الله الحرام وقصة أصحاب الفيل .

فالكناشة هي جمع الأوراق التي تُجَعَل كالدفتري يقيد فيه الشارد والوارد .  
ومنه قالوا كناشة النوادر أى مجموعة من النوادر ، كما فعل العلامة عبد السلام  
هارون فى مقال له فى احدى مجلات مجمع اللغة العربية تحت عنوان " كناشة  
الدكان " فذكر مجموعة من النوادر اللغوية<sup>(١)</sup> !!..

والكناشة هي الأصول التي تتشعب منها الفروع . كما أنّ الكنش هو تليين  
رأس السواك الخشن فيقال كنش بعد خشونته<sup>(٢)</sup> !!..  
ولكن النصارى والمسيحيين<sup>(٣)</sup> لم يقولوا كناشة أو حتى كنيشة وإنما قالوا كنيسة  
بالسين . وهذا يدل على عدم صحة الاشتقاق المذكور .

أمّا عن مادة كنس العربية بفتح الكاف ففيها معنى الاستتار والاختفاء .  
فيقال تَكَنَّسَ الرجل أى استتر ودخل خيمته ، وتكَنَّست المرأة أى استترت ودخلت  
هودجها . ونقل الزبيدي فى كتابه ( تاج العروس بشرح القاموس ) عن أبى عمرو  
قوله : الكنيسة هي المرأة الحسنة<sup>(٤)</sup> .  
قلت : وربما من ذلك المعنى الأخير الذى قال به الزبيدي جاء قولهم فى وصف  
الكنيسة بأنها " عروس المسيح " !!..

والكناس والكنيس بفتح الكاف هو المكان الذى يتعبد فيه اليهود أصلا .  
واشتهرت كلمة كنيس كمعبد لليهود وكنيسة ( مؤنث كنيس ) كمعبد للنصارى . ولا  
تزال كلمة كنيست - بكسر الحرف الأول للدلالة على الأصل الأرامى وبالتاء  
المفتوحة - تستخدم فى إسرائيل للدلالة على المجلس الذى يتخذ القرارات  
والتشريعات فى الدولة ، مما قد يدل على أنّ كلمة كنيسة عربية الأصل وليست  
بترجمة يونانية لكلمة اكلسيا . وقد حاول أحد الباحثين المسيحيين العرب أن يشتق  
أصل كلمة كنيسة من الجذر ( كنس ) فقال إنّ معناه ( جمع و دعا ) . ولكن ذلك

(١) .. مجلة مجمع اللغة العربية ج ٥٦ مايو ١٩٨٥ م الموافق شعبان ١٤٠٥ هـ .

(٢) .. تاج العروس ج ٤ ص ٣٤٧ .

(٣) .. النصارى غير المسيحيين ( راجع البيان والتفصيل فى كتبي السابقة ) .

(٤) .. تاج العروس ج ٤ ص ٢٣٥ .

المعنى لا يتأتى إلا بضم الكاف وفتح النون فنقول كُنَاسَة أى جمع القمامة !!..

وهناك سِرٌّ فى تأنيث الكنيس اليهودى إلى الكنيسة النصرانية نجده فى كتب العهد الجديد . حيث زعم الأوائل أن يسوع الخروف الذى ذبح على الصليب فداء لهم وخلصا للبشرية هو العريس ، وأنه سيرجع ليجد عروسه الجميلة الكنيسة " عروس الخروف " ( سفر الرؤيا ١٩ : ٦ - ٩ ) . والعريس هو يسوع والعروس هى الكنيسة .  
وقطعا لن يكون الكنيس المذكور هو عروس يسوع فأنثوه وقالوا كنيسة !!..

إنَّ كلمة اكّلسيا ( εκκλησιαν ) اليونانية معناها العام " جماعة من الناس لهم سلطة اصدار القوانين والتشريعات " . ومع أنها أصبحت كلمة مسيحية سرفة إلا أنها وُجدت فى العالم الوثنى اليونانى قبل المسيحية . فقد كانت تطلق فى العالم اليونانى على كل مجموع المواطنين فى المدينة الحرة . كذلك كانت تطلق على كل فريق من المواطنين يدعى للاشتراك فى اتخاذ القرارات فى المناقشات العامة . فلا توجد أى علاقة لغوية بين معنى كلمة اكّلسيا اليونانية وبين الدين أو العبادة أو بيت الصلاة .

وهذه الكلمة اكّلسيا ( εκκλησιαν ) مكونة من ثلاثة مقاطع لواصق معناها مجتمعة هو ( نادى - من - إلى ) . بمعنى نادى أحدهم من أجل أن يترك مكانه ويأتى إلى هنا ، وهذا المعنى هو المسجل فى العهد الجديد فى أغلب الأحيان ومن هنا كان قولهم أن الكنيسة تجمعهم ومن ثمَّ تُرسلهم إلى يسوع المسيح بواسطة الاعتراف بخدمة الأسرار ، وبمساندة التعاليم الكهنوتية .

زعموا أن يسوع هو أول من استعمل كلمة ( الكنيسة ) حيث خاطب بطرس قائلاً : " على هذه الصخرة ابنى كنيسة ( εκκλησιαν ) وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " ( متى ١٦ : ١٨ ) . والموجود بالأصل اليونانى لإنجيل متى هى الكلمة اكّلسيا ( εκκλησιαν ) بتشديد الكاف أى تكرارها وليست كنيسة بتخفيف الكاف ، والمسيح ~~الذي~~ لم يتكلم اليونانية .

فما هي الكلمة التي نطق بها المسيح بلسانه الأرامي ...!!!؟ هل هي كلمة كنيسة أم كنيس أم معبد أم بيعة أم مسجد ...!!!؟ وهل بنى كنيسته على بطرس أم على نفسه أم على صخرة الإيمان أم على الحجر الذي رفضه البنائون ...!!!؟ وهل كان بطرس هو الحجر الذي رفضه البنائون أم كان صخرة تعيق البناء ...!!!؟  
فاللغة اليونانية هي التي أبعدت الناس عن فهم كلمات وأقوال المسيح ابن مريم العذراء الأرامية .

قارنى الكريم .. لقد استوفيت الإجابة على الأسئلة السابقة بأدلة صريحة ظاهرة من داخل أصول نصوص العهد الجديد اليونانية ، وذلك فى كتابى " بولس صانع الأسطورة " فارجع إليه فهو جديد فى مادته . ولن أبخل عليك هنا فسوف أشرح بإذن الله تعالى قول المسيح عليه السلام فى بيان صفة كنيسته وتوقيت بنائها حسب الأصول اليونانية فى فصل تالى لتعرف الإجابة التى خيم عليها الضباب الكثيف لمدة ألفى سنة ميلادية ...!!!

الترجمات العربية الحالية للإنجيل تقول كنيسة ولا تقول أكلسيا كما هو فى الأصول اليونانية . كما أن المسيح عليه السلام لم يبن بيتا للصلاة خاصة به وبأتباعه المؤمنين به ولا حتى مبنى عاديا ليجتمع فيه بهم . وكذلك لم يأمر أتباعه ببناء بيت للعبادة خلاف بيوت العبادة الإسرائيلية . وإنما صلى وصام وزكى وحج كما كان يفعل الإسرائيليون ولم ينفصل عن معبدهم أو يأمر أتباعه من بعده بالانفصال عن الإسرائيليين ومكان عبادتهم واتخاذ قبلتهم فى الصلاة . وإنما كانت أوامره بالالتزام بشريعة التوراة مع الإيمان بالإنجيل الذى جاء به .

ومن الملاحظ أن الكنيسة الحالية على مرّ العصور المسيحية لا تعنى سوى ذلك المبنى القائم على مجلس الإدارة المكون من تنظيم هرمى من القسس والكهنة . يوجههم جميعاً مجلس إدارة أعلى يشرف على مجموعة الكنائس . إلا أن هذه الإدارة الأعلى أخذت سلطاتها - فى الغرب العلمانى - فى التآكل يوماً بعد يوم بسبب الخلافات الشخصية التى نشبت بين قسوسها ، وشعب فى الغالب لا يدرك الكثير عن سياسة كنيسته وأهدافها الباطنة ...!!!

وكل كنيسة عندنا الآن - أقصد المبنى الإدارى - صارت متخمة بكم ضخمة من المخاوف والمشكلات المتزايدة دوماً ، حتى صار الهمّ الأكبر لراعيها هو كيفية المحافظة على شكل هيكلها . فالراعى ( قسا أو كاهن ) ملزم برعاية أعضائها اجتماعياً - بشكل الوصاية بحسب المفهوم الشرقى للكلمة - فهو يحاول المحافظة على أعضاء كنيسته ومنعهم من الدخول إلى الإسلام . كما يقوم بشحن قلوب شعب كنيسته بكرهية الإسلام ونبى الإسلام والمسلمين وينطبق عليه قول المسيح " من ثارهم تعرفونهم " .

وهذا أمرٌ مُشاهد معلوم من سياسة الكنيسة القبطية ومن لم يُصدّق فعليه بمواقع عُجر المهجر الأقباط على شبكة المعلومات الدولية ليرى ثمار أخلاق شعب الكنيسة المصرية . ومن ناحية أخرى يحاول راعى الكنيسة أن يُخفى نشاط كنيسته المالى عن جهات الأمن فى الدولة ووزاراتها ( المالية والاقتصاد والجهاز القومى للحسابات ) . كل هذا وغيره أدى إلى انفصال الكنيسة عن مجتمعها الذى تحيا فيه . وهذا واضح فى سياستها العامة ولغتها على مطبوعاتها العربية الدينية العامة والخاصة .

من هنا أرى أنّ كلمة كنيسة تعنى الآن وفى عصرنا : الهيئة الموجودة فى المجتمع العربى والمغتربة عنه فى ذات الوقت ، بتخلفها عن إدراك لغته ومقوماته وبذلك أصبحت الكنيسة العربية تشكل تهديداً للإسلام - الديانة الرسمية فى البلاد العربية - مما يؤدى بالتالى إلى وسْم كل من ينتمى إليها بشكل عدائى وانفصالى فى ذات الوقت ( لاحظ تعبير الكنيسة القبطية لأتباعها بأنهم شعب الكنيسة كأنهم ليسوا من شعب مصر . كما تحاول الكنيسة القبطية جاهدة منذ أن تولى رئاستها شنودة الثالث فى سنة ١٩٧١ م القيام بإحياء اللغة القبطية الميتة بين قسوسها بدلا من العربية ، والتمسك بالعادات والطقوس الفرعونية )<sup>(١)</sup> .

(١) .. وباليت اللغة القبطية كانت هى الترجمة الأولى للإنجيل ، ولكنها ترجمة مأخوذة عن الترجمة اليونانية . وكلا الترجمتين ليستا من اللغة التى تكلم بها المسيح وكان بها إنجيله !!!  
فالقبطية فى أصلها يونانية - لغة مخاطبة المستعمر للمصريين - ولم يتكلم بها شعب مصر كما سيأتى بيانه . وليس فيها من الحروف المصرية سوى سبعة أحرف والباقي منها هو سبعة وعشرون حرفاً يونانياً ورغم ذلك يقولون بأنها مصرية !!!  
كما أنّ معظم كتابات آباء كنيسة الإسكندرية القدماء كانت باللاتينية واليونانية وليست بالقبطية . وحتى الكتابات القبطية الدينية التى تم اكتشافها فى نجع حمادى والمنيا وغيرهما تتصل منها الكنيسة القبطية ولا تؤمن بما فى تلك الكتابات القبطية .. عجبى !!!

إنها مجتمع متكامل فيه سلطة هرمية ظاهرة وسلطة سرية مُحاطة بمجموعة من الأسرار . زعموا أنّ جسد يسوع السرى هو رأسها وعمودها السرمدى . قال المسيح عليه السلام حسب نصّ إنجيل مرقس ( ١١ : ١٧ ) " أما كتب أنّ بيتي بيتا للصلاة يُدعى عند جميع الأمم " فقال بيتا للصلاة ولم يقل كنيسة للأسرار وجباية العشور !!..

وهدف الكنيسة الأساسى هو خلاص أتباعها نفساً وجسداً من حكم الشريعة الإلهية ( كما قال بولس قديماً ) ، تحت ستار إزالة سلطة الخطية ومحبة الانسان لها وتفقد شعبها كما تزعم إلى الحياة الأبدية السماوية . ويتم ذلك عن طريق الإيمان بالتجسد وعمل الفداء وفعل الروح القدس فى الأتباع . ولتعلم القراء أنّ الواسطة المنظورة لإجراء كل ذلك هى الكنيسة . وقد سُمى البحث فى الكنيسة ونظامها وعلاقتها بالعالم وعملها الخاص بـ الإكليريولوجيا ( أى العلم الكنسى ) وهو قسم من أقسام علم اللاهوت الكبرى .

وقد دُعيت الكنيسة فى العهد الجديد بألقاب متنوعة منها : بيت روحى ( ابط ٢ : ٥ ) وبيت ثيوس ( ١ إلى ٣ : ١٥ ) وهيكلى ثيوس أى هيكلى الله حسب الترجمة العربية وهيكلى الروح القدس ( ١ كو ٣ : ١٥ ، ١٦ ) وجسم يسوع ( أف ٥ : ٣٠ ) وجسد يسوع ( ١ كو ١٢ : ٢٧ ) وعروس المسيح ( أف ٥ : ٣١ ، ٣٢ ) ... الخ . ولم توصف أبداً بأنها بيت للصلاة كما بيّن وأراد المسيح عليه السلام .

وأذكر للقارئ الكريم ملخصاً مختصراً جداً لبداية ظهور الكنائس الشرعية المدعمة بحماية السلطة الحاكمة فى التاريخ المسيحى .. حتى سنة ٢٦٠ م كان كل ما يطلق عليه كلمة كنيسة تعتبر كنائس غير شرعية تعمل فى السر بعيداً عن أعين السلطات الحاكمة . وبعدها بأربعين سنة أخرى كانت فترة تأسيس قانونية الكنائس وشرعيتها . وثلاثة عشر سنة أخرى كانت فترة الاضطهاد الذى لم يسبق له مثيل . وفى سنة ٣١٣ م أصدر الإمبراطور قسطنطين قانون التسامح الدينى ورفع الاضطهاد ومن ثم أخذت الكنائس شرعيتها الدينية ومكانتها فى حق الظهور والانتشار .

## أنواع الكنائس وأنظمتها ..

اشتهر في تاريخ الكنيسة أربعة أنظمة هي : النظام التقليدي البابوي .  
والنظام الأسقفي ؛ والنظام الاستقلالي ؛ والنظام النيابي أو الجمهوري .

١ - يؤمن أصحاب النظام التقليدي البابوي ( الفاتيكان ) أنَّ الكنيسة واحدة لها نظام واحد منظور ، رأسها الأرضي البابا وهو نائب المسيح . والموظفون في الكنيسة هم البطاركة والأساقفة ( أى المطارنة ) وسائر رجال الدين . ولهؤلاء حقوق فائقة وسلطان عظيم . ويمثل هذا النظام الطوائف الكاثوليكية المختلفة .

٢ - ويعتقد أهل النظام الأسقفي ( ومنها الكنيسة القبطية ) <sup>(١)</sup> أنَّ الكنيسة جماعة تحت رئاسة الأساقفة والقسوس والشمامسة . وأساقفتهم هم خلفاء الرسل ولهم معجزات رسولية ، وقد تسلسلوا من الرسل بسلسلة الرسامة الكنسية . ولا يتوظف عندهم إلا الذى رُسم عن يد أساقفتهم بالرسامة القانونية ، ولذلك لا يعتبرون رسامة القسوس فى الكنائس الأخرى رسامة حقيقية بدعوى أنهم لم يُرسموا عن يد الأساقفة فى الكنيسة الأسقفية . وهم يؤمنون أنَّ الكنيسة والأساقفة مع سائر القسوس والشمامسة هم أصحاب السلطة وليس للشعب حقوق فى سياسة الكنيسة . ويمثل هذا النظام الكنيسة القبطية وكنيسة أنطاكيا وباقي كنائس الطوائف الأورثوذكسية .

٣ - ويعتقد أهل النظام الاستقلالي ( وهم بالغرب ) أنَّ كل كنيسة محلية مستقلة فى نظامها ، قائمة بنفسها ، تختار موظفيها أى القسس والشمامسة لا غير . وتقوم بأمورها بالاستقلال التام . وتمثلهم كنائس الطوائف البروتستانتية المستقلة .

٤ - النظام النيابي أو الجمهوري وفيه تقوم كل كنيسة محلية بذاتها ولكن لها علاقة بمجلس كنسى يُدعى المجمع المشيخي الذى له بدوره علاقة بمجمع

(١) .. منذ أن تأسست الكنيسة القبطية - بعد انفصالها عن كنيسة الإسكندرية - وحتى منتصف القرن العشرين لم يكن بها كرسى بابوي . أمّا عن وجود البابا فيها الآن فقد وُجد بصدور بقرار من رئيس الجمهورية المسلم جمال عبد الناصر ... وتم إلغاء القرار الجمهوري سابق الذكر بواسطة الرئيس المؤمن محمد أنور السادات ...!! ولا تزال البابوية موجودة رغم عدم صدور قرار جمهوري مُعلن من الرئيس الحالي ...!!

أعلى يدعى السنودس وله علاقة بمجمع أعلى يُدعى المحفل العام وهو مركز السلطة البشرية الأعلى في الكنيسة .

ولأعضاء كل كنيسة حق انتخاب مجلس لها من الشيوخ والشمامسة ينوب عن الكنيسة بالإجمال لإجراء أعمالها والنظر في مصالحها . ولهذا المجلس أن ينتخب من أعضائها من ينوب عن تلك الكنيسة مع قسيسها في المجمع المشيخي . وللمجمع حق انتخاب من ينوب عنه في السنودس والمحفل العام . والمجلس في كل كنيسة مع القسس هم نواب الكنيسة للنظر في إدارتها والسهر على مصالحها . ويمثلهم الطوائف الإنجيلية بمصر <sup>(١)</sup> .

---

(١) .. تم نقل ذلك التقسيم الكنسي بتصرف من كتاب اللاهوت النظامي .

## بين الكنيسة القبطية والكنائس الإنجيلية المصرية

يعتقد التقليديون <sup>(١)</sup> - كالكنيسة المصرية القبطية الحالية - أن كنيسة المسيح الحقيقية هي كنيستهم هم لا غير . بينما يعتقد الإنجيليون المصريون أن الكنيسة غير المنظورة واحدة وعامة وتحت رياسة المسيح فقط ، وأن الكنيسة المنظورة مؤلفة من جماعات كثيرة منتظمة تحت أسماء مختلفة .

ويعتقد التقليديون المصريون أن صفات الكنيسة هي الوحدة والقداسة والجامعية والرسولية والعصمة وعدم إمكان السقوط ، وأن هذه الصفات اجتمعت في كنيستهم وحدها ، فهي الكنيسة الوحيدة الصحيحة في العالم ، ولا خلاص لمن هو خارج عنها . وينكر عليهم الإنجيليون المصريون بعض تلك الصفات ويقولون إن كنيسة المسيح الصحيحة ليست تحت نظام واحد خارجي . بل هي الكنيسة غير المنظورة الروحية المؤلفة من كل المؤمنين بالحق في كل زمان ومكان . وأنها جسد المسيح وهو رأسها وربها بغض النظر عن نظامها الخارجي .

قلت جمال : ومن المعلوم تاريخياً أن المسيحية الأولى <sup>(٢)</sup> تشرذمت وتشققت إثر صراعات عقائدية لاهوتية تمحورت حول طبيعة المسيح وأيضاً إثر صراعات سياسية كان لها أثرها الكبير في تفكك الكنائس المسيحية . وجعلت أربع عواصم مسيحية كبيرة تتواجه مع بعضها في القرن الخامس والسادس والسابع وهي : روما ؛ الاسكندرية ؛ أنطاكية ؛ القسطنطينية . ومع أن المحاولات استمرت لاحقاً من أجل رآب الصدع بينهم من أجل توحيدهم لكن لم يتم ذلك الأمر حتى الآن .

(١) .. التقليد ترجمة للكلمة اليونانية ( بارادوسيس ) أى التسليم لأقوال القمام . ومن الكنائس التقليدية كنيسة الاسكندرية ؛ كنيسة انطاكية ؛ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ؛ الكنيسة اليونانية الأرثوذكسية ؛ الكنيسة البيزنطية ؛ و ... و ... الخ ؛ وحالياً الكنيسة القبطية وهي غير كنيسة الإسكندرية كما سيأتى بيانه .  
(٢) .. أما عن الطائفة النصرانية فقد اضطهدوا اليهود والمسيحيين .. وتحت اضطهاد الحكم الروماني المسيحي لاذ النصراني بأطراف الجزيرة العربية شمالها وجنوبها إلى أن ظهر الإسلام فدخل أكثرهم فيه ومن لم يدخل فقد باد مع الباطن ولا يعرف التاريخ لهم وجود معلوم الآن .

وتتواجد الكنائس فى الشرق الأوسط حالياً على هيئة أربع بطريركيات أساسية وهى :  
١- الاسكندرية وتضم أساساً مصر والحبشة وافريقيا ، ولكنها انقسمت فى  
الستينيات - عقب الانقلاب العسكرى ضد إمبراطور الحبشة هيلاسيلاسى - إلى  
بطريركيتين : القبطية والحبشية . فتقلصت سلطاتها .

٢- القسطنطينية والمعروفة بالبيزنطية.

٣- انطاكية وهى مقسمة أيضاً اليوم إلى بطريركيات عدة : الروم والروم  
الكاثوليك ، والسريان الارثوذكس ، والسريان الكاثوليك ، والسريان الموارنة  
والأرمن ، والسريان المشرقيين ( كلدان وأشوريين ) .

٤ - بطريركية اورشليم القدس ، وتضم بطريركية الروم الارثوذكس وممثلين عن  
كل الكنائس الشرقية فى نيابات بطريركية متعددة كاثوليكية وارتوذكسية .

وكل هذه الكنائس تتبع كل منها طقوساً وعقائد وتقاليد مختلفة ومتنوعة  
تخضع بدورها لعوامل عدة : دينية وحضارية وثقافية وتاريخية وسياسية . وهناك  
وظائف للكنيسة بعضها وقتى وبعضها دائم .

فالوظيفة الوقتية هى وظيفة الأنبياء والرسل ( كما يزعمون ) !!..  
ووظائف دائمة كالتعليم والإدارة والخدمة .

كما أن للكنيسة فرائض تُسمى وسائط النعمة وهى الأسرار الكنسية التى تقوم  
بعملها وهى البحث الثانى فى ذلك الكتيب .

## نبذة عن اعتقادات الكنائس التقليدية - كالمقبطية الإسكندرانية -

( أخذت المعلومات بتصريف كبير من كتاب اللاهوت النظامي )

يعتقد أصحاب الكنائس التقليدية أنّ الكنيسة مُقامة من الرب ، فهي مُعلّمة معصومة ذات سلطان . وأنّ الشبح المقدّس - الروح القدس - حاضر معها دائماً يرشدها ويحفظها من الخطأ في التعليم . ورؤساء الكنائس عندما يتكلمون في الأمور الدينية يكونون آله في يد ذلك الشبح الخفي المقدّس<sup>(١)</sup> . والعصمة لا تفارقهم فهم الوحيدون الذين لهم الحق في شرح الكتاب المقدس .

وهذا التعليم يوافق ذوق عامة المسيحيين في مصر الذين لا يدرسون الكتاب المقدس . لأنّ الكنيسة بموجب هذا التعليم قادرة أن ترشدهم وتحررهم من المسؤولية الشخصية في أمور الدين ، وتحكم في كل المسائل الدينية لأجلهم وتخلصهم من لزوم البحث عن ماهية الحق . وتؤكد لهم خلاصهم بمجرد خضوعهم لها ، وتحمل عنهم الخطأ ، وتوزع عليهم النعمة . وتفتح لهم أبواب السماء .

قلت جمال : لقد أخطأ المسيحيون عندما حنوا جنو اليهود ، فانسبوا إلى أنفسهم مقالة اليهود من أنهم ورثة المواعيد وأصحاب الحق الكتابي . فمن ينضم للكنيسة ويسير تحت نظامها ويؤمن بأسرارها ينال الخلاص ، وأنّ جميع الذين ماتوا وسيموتون خارج الكنيسة لا يستحقون الفردوس ولذلك يهلكون .

وللعلم فإنّ المسيح عليه السلام قد أبطل مثل تلك الأقوال التي كانت متفشية بين قومه كما هو مسجل في الأناجيل الحالية . وكما يظهر جلياً من الأناجيل أنّ وظيفة الرسل - تلاميذ المسيح - وقتية وغير قابلة للانتقال والتسلسل . وليس فيها أمرٌ باستمرارها . وليس في الأناجيل أمرٌ بإقامة خلفاء لهم كما تزعم الكنائس التقليدية .

(١) .. في النسخ الإنجليزية القديمة المعتمدة نجد كلمة شبح ( جوست ghost ) هي المستخدمة كثيراً في النصوص . ومنذ مطلع القرن العشرين بدأت كلمة روح ( سبريت spirit ) تحل محل كلمة شبح في النسخ المعاصرة . والمعنى بين الكلمتين مختلف كما هو معلوم .

وبتتبع الحوادث التاريخية نجدها تكذب العصمة المزعومة . فالتاريخ يروى كيف أنّ الكنيسة وقادتها أخطأوا وانحرفوا عن الحق وانشقوا على أنفسهم منذ فتنة أريوس . بل من قبل ذلك بكثير فقد انشق المسيحيون فى أنطاكيا عن كنيسة القدس التى كان بها تلاميذ المسيح منذ عصر بولس . كما قبلت الكنيسة أكثر القضايا المهمة فى تعليم أغسطينوس فى مجمع أفسس الثالث سنة ٤٣١ م فى عقائد فساد طبيعة الإنسان وموته الروحى ، وعدم امكان الخاطئ أن يتجدد بدون قوة الروح . وفى اختيار البعض للخلاص وعدم اختيار البعض الآخر .

ورفضت الكنائس ما سبق أن قبلته ، وعلمت أنّ النعمة الإلهية ليست إلا إعانة للإنسان ليرجع إلى الرب ، وأنّ المعمودية هى وسيلة التجديد ، وأنّ الشهوة ليست خطية وسكتت فى أمر الاختيار . وواضح من هذا أنّ الكنائس غير معصومة فى التعليم لعدم مطابقة تعاليمها بعضها لبعض .

وقد جاء فى تاريخ المسيحية رأيان متضادان فى وسائط الخلاص التى ينالون بها النعم السماوية :

- رأى الكنيسة الإنجيلية : أنّ الكارزين - الداعين - بالحق هم خدام مختارون من الرب لنشر بشرى الخلاص ، ولكن ليس لهم السلطان الخاص بالرسول ولا مواهبهم العجيبة ، وأنّ سيرى الكنيسة - المعمودية والعشاء الربانى - ليسا إلا من جملة الوسائط لبنيناتها وثباتها فى الإيمان ونموها فى التقوى . وأنّ فاعليتهما تتوقف على قبولهما بالإيمان لا على ممارستهما بأيدى القسس . وأنّ القسس معيّنون لممارستهما حفظاً لنظام الكنيسة .

- رأى الكنائس التقليدية : الاعتقاد أنّ رجال الدين هم خلفاء الرسل ولهم وحدهم سلطان الرسل ومواهبهم . وعلى ذلك فهم وكلاء النعمة الإلهية وذو قدرة على توصيلها للبشر بواسطة الأسرار الكنسية . أى أنّ الرب يستخدمهم هم فقط وسائط ليوصل نعمته وخلاصه للبشر . وبناءً على ذلك يكون قبول الأسرار عن يد الإكليروس ضرورياً للخلاص . وكذلك تتوقف فاعلية الأسرار على ممارستها

بالأسلوب الذى يراه الإكليروس<sup>(١)</sup> قانونياً . وهذا الأمر يخول للإكليروس سلطاناً فى الأمور الروحية لم يخولهم إياه يسوع ويملاً أيديهم بالقوة لاستعباد البشر .

ويتضح خطأ هذا الرأى من سوء تفسيرهم بعض آيات الكتاب التى زعموا أنها تشير إلى رسامة الإكليروس بوضع الأيادى وقبول الشبح المقدس مع أنها لا تشير إلا إلى التأييد وللتثبيت . ومن هذا يتضح أن إعطاء الشبح المقدس بوضع الأيدى لم يكن لرسامة إكليروس ولا لإثبات الخلافة الرسولية بل لمنح التأييد . ولم أجد فى الأناجيل الحالية خبر إعطاء الشبح المقدس - أقصد التأييد الإلهى - بغير وساطة المسيح شخصياً . وحتى الآن لم يوجد فى الكنيسة - بطوائفها المختلفة عقائدياً - من استطاع منح الشبح المقدس لأحد من البشر . فلا سند من الأناجيل يُشير إلى الخلافة الرسولية المزعومة ولا على تفويض منح تلك النعمة الإلهية الوراثية إلى رجال الإكليروس أو إعطاء الشبح المقدس مراراً لجماعة من الناس عند معموديتهم .

المهم أن المسيح عليه السلام قد جاء أساساً لهدم تقاليد الشيوخ ورفع الإصر والأغلال التى فرضها شيوخ بنى إسرائيل عن قومه ( إنجيل مرقس ) . ولكن أتباع بولس عملوا بالعكس تماماً حيث أحيوا التقاليد البغيضة تبعاً لقول بولس : " فأثبتوا إذا أيها الاخوة وتمسكوا بالتقليدات التى تعلمتموها سواء كان بالكلام أم برسالتنا " ( ٢ تسالونيكى ٢ : ١٥ ) و " فأمدهم أيها الاخوة على أنكم تذكروننى فى كل شىء وتحفظون التقليدات كما سلمتها إليكم " ( ١ كورنثوس ١١ : ٢ ) .

ومن هذه التقاليد المعمول بها فى الكنيسة القبطية الأورثوذكسية : إكرام صور وتمائيل ( الأيقونات ) القديسين وبقاياهم والاستشفاع بها ؛ حفظ الصوم الأربعينى قبل الفصح وحفظ يومى الأربعاء والجمعة على مدار السنة ؛ الحياة الرهبانية ؛ الصلاة إلى جهة الشرق ؛ عدم الركوع يوم الأحد وفى أيام الخمسين .

(١) .. كلمة اكليروس مشتقة من كلمة اكليرونوميا اليونانية ومعناها الميراث أى أن هؤلاء الناس اختاروا أن يكونوا ورثة يسوع !!! بمعنى أنهم أصبحوا مكرسين تماماً لعلهم هذا فلا يعملون عملاً آخر خارج الكنيسة !!!

كما تزعم الكنيسة القبطية أن التقليد هو كلام الله الشفوى غير المكتوب ( الأمانة ) ، وتعتبره مساويا للكتب المقدسة ومفسرا ومكملا لها ، تناقلوه عن الأوائل . ولذا نجد رؤساء الكنيسة القبطية يعتقدون أن الكتاب المقدس صعبٌ ومبهمٌ لا يمكن فهمه بدون مفسرٍ منظورٍ معصومٍ من الخطأ هو الكنيسة . وبناء عليه فإن الكنيسة القبطية لا تستحسن مطالعة الشعب للكتاب المقدس بدون الكنيسة . بينما نرى الكنائس الإنجيلية والكاثوليكية تنادى بلزوم نشر الكتاب والسعى فى توزيعه . ومن هنا نجد خلو المكتبات العامة والخاصة من نسخة كتاب الكنيسة القبطية حيث لم تقم بطباعته ونشره بين الناس إلى الآن ..!!

ومن المفارقات البينية أن تضع الكنيسة الإنجيلية المسيح قبل الكنيسة وتزعم الاقتداء به دليلاً على التقوى الصحيحة . بينما تضع الكنيسة القبطية الكنيسة قبل المسيح وتحسبه شرط الإيمان الصحيح .

## كلمة خطيرة حول الكنيسة المصرية

لا شك أن درجة الوعي والثقافة العامة تتحدد عند الفرد بقدر إلمامه بتاريخ بلده ولغته ، وعندما يصبح التاريخ المزيف واللغة المزعومة جزءاً رئيسياً من عقيدة مجموعة من الناس لإثارة الفتنة والبلبلة في المفاهيم وإضعاف الوحدة الوطنية لشعب مصر . فلا بد لنا من وقفة نعيد فيها قراءة التاريخ لنعلم صحيحه من سقيمه بغرض بناء ثقافة التطور والمواجهة .

وستكون وقتي بحول الله وقوته حول محورين :  
بداية ظهور الكنيسة القبطية في التاريخ المصري ، واللغة القبطية التي زعموا أنها كانت لغة شعب مصر كله وليست لغة المستعمر اليوناني التي وضعها ليخاطب بها المصريين ..

### أولاً : الكنيسة القبطية

لا أستطيع أن أزعم أو أقول بأنه كانت هناك كنيسة واحدة في مصر تُدعى الكنيسة المصرية قبل الفتح الإسلامي لمصر .. وإنما كانت هناك في مصر كنيسة واحدة ظاهرة تسمى بكنيسة الإسكندرية ، هي التي نجد ذكرها في كتب التاريخ المسيحي قبل القرن السابع الميلادي ، أي قبل الفتح الإسلامي لمصر . ولكن قبيل الفتح الإسلامي كان هناك منشقون على كنيسة الإسكندرية تزعمهم البطرك بنيامين الذي كوّن ما يشبه كنيسة في السرّ تعارض آراء وعقيدة كنيسة الإسكندرية بخصوص مسألة طبيعة المسيح وقرارات مجمع خلقيدونية . ولنا أن نقول كانت هناك بمصر أوان الفتح الإسلامي كنيسة ثانية تشكلت في السرّ من المصريين الذين خالفوا آراء كنيسة الإسكندرية بخصوص قرارات مجمع خلقيدونية . فصار بمصر قبيل الفتح الإسلامي كنيستين حينذاك ..

أولاهما كنيسة ظاهرة ملكانية المذهب والعقيدة ، تابعة للقسطنطينية والحاكم الروماني وهي كنيسة الإسكندرية . والثانية مستترة تشكلت سرّاً ، يعقوبية المذهب

والعقيدة - وهى على النقيض من كنيسة الإسكندرية وعقيدتها - رفضت آراء كنيسة الإسكندرية وتدخلات الإمبراطور الرومانى ، وهى التى تسمت فيما بعد وفى ظل العصر الإسلامى لمصر ب الكنيسة القبطية .

وخيم ظلام التاريخ الكنسى على الكنيستين ، ولم يحاول الباحثون فى التاريخ المصرى كشف النقاب عن العلاقة بين الكنيستين وتبيان التوقيت الذى ظهرت فيه الكنيسة القبطية وسرقت فيه تاريخ كنيسة الإسكندرية وزعمت أنها هى كنيسة الإسكندرية بعد أن انزوت كنيسة الإسكندرية وتقلصت عقب الفتح الإسلامى لمصر بقرنين من الزمان . بل وسرقت الكنيسة القبطية التاريخ المصرى فقالت التاريخ القبطى نسبة إليها . مع أن كلمة قبطى ليست بكلمة مصرية وإنما يونانية فرضها المحتل اليونانى وأتباعه من بعده على مصر والمصريين !!..

ولا أستطيع أن أزعم أو أقول بأن الكنيسة القبطية الحالية هى امتداد لكنيسة الإسكندرية التاريخية القديمة . ولكنها كنيسة من كنائس مصر ظهرت وهى تُقدّس اللغة القبطية وتتعامل بها فى طقوسها الدينية وتُحْيى التراث الفرعونى الوثنى<sup>(١)</sup> وتعتمد التفسير الرمزي أصلاً أصيلاً فى فهم الكتاب المقدس ، وتسمى نفسها بالكنيسة القبطية تمويهاً على الجهلاء من العامة ليفهموا أنها الكنيسة المصرية الوحيدة . ومن ثم فقد سرقت تلك الكنيسة القبطية تراث وتاريخ كنيسة الإسكندرية التاريخية ، وتعدى الأمر إلى أن سمّت نفسها بكنيسة الإسكندرية حالياً !!..

(١) .. ولنضرب هنا مثلاً واحداً ، ألا وهو الاتجاه للشرق فى الصلاة المسيحية .. هو تقليد مصرى قديم توارثه المسيحيون عن فراعنة مصر ، وإن كان القديس باسيليوس الكبير ( ٣٣٠ - ٣٧٩ م ) يقول بأنه تقليد قديم متوارث غير مكتوب فى الوثائق المسيحية . ويُعد العلامة كليمنديس الإسكندري ( ١٥٠ - ٢١٥ م ) أوّل من أشار إلى الاتجاه للشرق فى الصلاة . فالإتجاه للشرق فى الصلاة طقس وُجد فى مصر أولاً وامتد منها إلى كل أنحاء العالم المسيحى . وعلى ذلك فإن اتجاه الكنائس المصرية إلى الشرق فى بنائها هو أمر أساسى فى تصميمها ، بينما هو أمر لم تعرفه كنائس أوروبا إلا فى العصور الوسطى .. ويقول الراهب المصرى اثناسيوس فى معجمه : وفى الليتورجية القبطية تكثُر تنبيهات الشَّمْس للّشعب للاتجاه للشرق فى الصلاة رغم أنّ الكنيسة أصلاً مبنية فى هذا الإتجاه ومن هذه النداءات " إلى الشرق انظروا " و " قفوا وإلى الشرق انظروا " . ( نقلاً عن معجم المصطلحات الكنسية / ج ١ ص ٤١ ) . قلت جمال : وقطعا الإتجاه فى الصلاة إلى الشرق يخالف ما كان عليه المسيح عليه السلام من اتخاذ قبلة الصلاة إلى بيت المقدس كما ورد فى إنجيل يوحنا أثناء حديثه مع المرأة السامرية . أمّا عن الصلاة إلى الشرق فهى واردة عن الفراعنة كما فى صلاة تحتمس الثالث إلى الشرق حيث أرض الإله .. ولا توجد أرض بشرق مصر سوى أرض الحجاز ومكة المكرمة !!..

تلك الكنيسة التي يزعم كهنتها وقسها زورا وبهتانا بأنها هي كنيسة الإسكندرية القديمة والمعروفة في كتب التاريخ القديم . كنيسة الإسكندرية التي كانت تعد من الأربع بطريركيات الشرقية القديمة : بطريركية أنطاكية و بطريركية القسطنطينية و بطريركية الإسكندرية و بطريركية أورشليم .

كنيسة الإسكندرية التي لم يصلنا شيئا من كتابات أبائها باللغة القبطية .  
وكل ما اكتشف من كتابات قبطية قديمة - مثل مكتشفات نجع حمادى والمنيا - لا تنتمى إلى كنيسة الإسكندرية فى عقيدتها . كما تتصل الكنيسة القبطية من تلك الكتابات القبطية!!..

ومن المتفق عليه بين المؤرخين المسيحيين أن كنيسة الإسكندرية كانت من الكنائس التي وافقت على قرارات مجمع خلقيدونية الذى عقد سنة ٤٥١ م . أما الكنيسة القبطية الحالية - والتي تزعم قياداتها أنها كنيسة الإسكندرية - فهي لا تعترف بقرارات مجمع خلقيدونية . وتلك مفارقة عقيدة خطيرة (١) !!..

والكنيسة القبطية الحالية تقول قياداتها بأنها كنيسة أرثوذكسية بالذال وليس بالذال كما هو الحال فى كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكية وكنيسة القدس وكنيسة القسطنطينية فكلها كناس أرثوذكسية ( ορθοδοξοι ) بالذال ( δ ) وبالتأكيد هناك فرق فى معنى المصطلح اليونانى ..

وكلمة الأرثوذكس ( ορθοδοξοι ) معناها فى اليونانية مستقيم الرأى . وهى كلمة مركبة من لفظتين يونانيتين ( أرثوس ) وهى صفة لما هو قويم وسليم . و ( دكسا ) وهى اسم يدل على الرأى والمعتقد والفكر . فيكون معنى الكلمة اليونانية المركبة ( أرثوذكس ) هو المعتقد القويم أو الرأى القويم .

(١) .. من أقلام قسس الكنيسة القبطية أخذت تلك البيانات مع أنها مسجلة فى كل كتب التاريخ المسيحى .  
( راجع على سبيل المثال كل من معجم المصطلحات الكنسية : ج ١ ص ٦٢ - ٦٣ للراهب القبطى اثناسيوس و المسكونية فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية / دراسة وثائقية للقمص بولا عطية ص ٣٠ ) . وكلا الكتابين عليهما موافقة البابا شنودة ومساعدته بيشوى ﴿ كبر مقنا عند الله أن تقولوا ما لا تقفون ﴾ !!..

وقد ظهرت طائفة الأرثوذكس على مسرح التاريخ بعد أن انفصلت الكنائس الشرقية عن الكنيسة الغربية نهائيا فى مارس سنة ١٠٥٤ م . ولذلك لم يتكلم علماء الإسلام القدماء - ولا حتى مؤرخى المسيحية - عن مسميات الطوائف الأرثوذكسية أو الكاثوليكية وما خرج منها كالبروتستانتية - وما تفرع منهم من طوائف عدة - لأن تلك المسميات ظهرت من بعد مرور ألف سنة على بعثة المسيح عليه السلام . فكان علماء الإسلام القدماء يتكلمون عن الطوائف الثلاث القديمة الكبرى كالنسطورية واليعقوبية والملكانية ( أى أتباع الملك ) .

أهم المراحل التأسيسية فى الفكر والعقيدة بالنسبة للكنيسة القبطية هى مرحلتى مؤتمر نيقية فى سنة ٢٢٥ ومرحلة مؤتمر خليكيدونيا فى سنة ٤٥١ ومن هذه تقوم الدعائم الاستقلالية للكنيسة القبطية حسب استقراء كتب تاريخ المسيحية بمصر .. فلا وجود للكنيسة القبطية فى التاريخ المسيحى قبل القرن الخامس الميلادى يقينا . ولا وجود لها فى التاريخ المصرى قبل الفتح الإسلامى لمصر فى القرن السابع .

والأرثوذكس عموما ينقسمون إلى :

أرثوذكس خليكيدونيين وهم : الأربعة بطريركيات القديمة القسطنطينية والإسكندرية وأنطاكية وأورشليم .

أرثوذكس لا خليكيدونيين وهم الذين لا يعترفون بقرارات مجمع خليكيدونية الذى عقد سنة ٤٥١ م ، وهم يمثلون اليوم : الكنيسة القبطية والكنيسة الأثيوبية والكنيسة السريانية الأنطاكية والكنيسة الأرمنية .

ولا أعلم تحديدا متى ظهرت الكنيسة القبطية ككيان مستقل وكنيسة مستقلة عن كنيسة الإسكندرية ومختلفة معها فى عقيدتها بشأن طبيعة السيد المسيح ...!!! ولكن الرأى الصحيح أن ذلك الأمر كانت بوادره قبيل دخول الإسلام لمصر . المهم أنهم قالوا بوجود كنيستين مختلفتين عقائديا أمام قرارات مجمع خليكيدونية هما كنيسة الإسكندرية والكنيسة القبطية ...!!!

وتعترف الكنيسة القبطية اللاخلفيدونية بثلاثة مجامع مسكونية فقط هي :  
نيقية ( ٣٢٥ م ) والقسطنطينية ( ٣٨١ م ) وأفسس ( ٤٣١ م ) . بينما كنيسة  
الإسكندرية الخلفيدونية تضيف إلى الثلاثة مجامع المسكونية الأولى أربعة مجامع  
أخرى هي : خلقيدونية ( ٤٥١ م ) والقسطنطينية الثانية ( ٥٥٣ م ) وترولو  
( القسطنطينية الثالث ٦٩٢ م ) ونيقية الثانية ( ٧٨٧ م ) . وتلك علامة أخرى على  
المفارقة بين الكنيستين القبطية والإسكندرية...!!  
فكان لكنيسة الإسكندرية وجود بمصر حتى سنة ٧٨٧ م على الأقل أى بعد الفتح  
الإسلامي لمصر بحوالى قرنين من الزمان .

وتطلق كلمة أرثوذكس ، لغة على ما يوافق كل تراث ، دينياً كان أم غير  
دينى وتطلق اصطلاحاً على جماعة كبيرة من المسيحيين الذين يقولون إنهم  
حافظوا على المعتقد الصحيح كما حددته المجمع المسكونية<sup>(١)</sup> . وفى معظم  
الأحيان يُطلق الأرثوذكس على كنيستهم أسماء ( الكنيسة الأرثوذكسية الكاثوليكية  
الشرقية ) أو ( الكنيسة الأرثوذكسية الكاثوليكية فى الشرق ) أو ( الكنيسة  
الأرثوذكسية الجامعة ) . ويطلق عليها مجازاً مُسمى ( الكنيسة الأرثوذكسية ) حتى  
لا يلتبس الأمر على العامة لأن كلمة الكاثوليك هنا تعنى ( الجامعة أو العامة ) .  
المهم أن تلك الكنائس الأرثوذكسية التى تعد نفسها الكنيسة الجامعة ( أى الكاثوليكية )  
الحقيقية ، ليست جزءاً من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الفاتيكانية ولا تتبعها فى  
العقائد أو الطقوس .

ولما اتسع مدى المجمع فى القرن الثالث الميلادى ازدادت أهمية أساقفة  
المدن الكبرى ونشأت فيها ( كراسى أسقفية ) . تميز من بينها ثلاثة هى كراسى  
أنطاكية ورومة والإسكندرية . وعندما تأسست مدينة القسطنطينية وغدت عاصمة  
الامبراطورية جعل مركزها الأسقفى كرسياً رابعاً . وكانت لكل من هذه الكراسى  
سلطته على أقطار معينة ، وتعالج قضاياها الكبرى التى تخص العقيدة أو تهتم جميع

(١) .. المجمع المسكونى مؤتمر يُدعى إليه أساقفة الكنائس المتعددة للتداول فى شؤون العقيدة المسيحية .

الكنائس مجامع عامة يحضرها أساقفة الكراسى أو ممثلوهم . وقد منح المجمع المسكونى الرابع ( مجمع خلقيدونية ) أساقفة هذه الكراسى لقب بطريرك ، وأحدث أسقفية القدس وجعل أسقفها بطريركاً فسمى البطريرك الخامس . وبذلك نشأ نظام الرئاسة الخماسية فى الكنيسة الأرثوذكسية .

ومنذ النصف الأول من القرن الثالث أطلق على أسقف الكرسى الإسكندرى لقب بابا ، وسمى أسقف الكرسى الرومانى بابا فى الربع الأول من القرن السادس ، وفى الربع الأخير من القرن نفسه أطلق أساقفة اليونان على أسقف كرسى القسطنطينية لقب البطريرك المسكونى .

وفيما بعد صار لقب البطريرك يطلق على رؤساء الكنائس المستقلة الكبرى لأسباب دينية واجتماعية وسياسية دولية . ونلاحظ هنا وجود فارق آخر بين كنيسة الإسكندرية و الكنيسة القبطية .. حيث أطلق لقب بابا لأول مرة على أسقف الكرسى الإسكندرى منذ النصف الأول من القرن الثالث الميلادى . بينما أطلق لقب بابا لأول مرة على بطرك كرسى الكنيسة القبطية ( كيرلس ) بقرار من رئيس الجمهورية المصرى المسلم جمال عبد الناصر فى أواخر الستينيات من القرن العشرين ، ومن بعده صدر القرار من رئيس مصر محمد انور السادات باقالة البابا شنودة الثالث واحالته للتقاعد وتعيين مجلس خماسى لادارة شئون الاقباط مكانه .. وذلك بالقرار الجمهورى رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ والذى قضى بالغاء القرار الجمهورى رقم ٢٧٧٢ لسنة ١٩٧١ بتعيين الأنبا شنودة الثالث بابا للإسكندرية و بطريركا للكراسة المرقسية فالكنيسة القبطية لم يعتلى كرسيها حتى الآن إلا اثنين من البابوات هما كيرلس وشنودة الثالث !!..

وتؤكد جميع التعاليم الأرثوذكسية الشفوية والكتابية المعاصرة أن الكنيسة القبطية تعترف بسبعة أسرار مقدسة هى : العماد ؛ الميرون ؛ القربان المقدس ؛ رسم الكهنة ؛ التكفير ؛ مسحة المرض ؛ الزواج . بيد أنها لم تحدد عدد الأسرار رسمياً لافى ( كتاب الصلاة ) الذى يتضمن نصوص هذه الأسرار ولا فى تعاليم آباء الكنيسة .

وفى الواقع لم يعمل أى مجتمع كنسى اعترفت به الكنائس الأرثوذكسية على تحديد عدد الأسرار ، وقد قُبل العدد سبعة فقط فى ( الاعترافات الأرثوذكسية ) التى صدرت فى القرن السابع عشر رداً على حركة الإصلاح .

ومن المفارقات أيضا أن أريوس أسقف كنيسة الإسكندرية المصرية ( ٢٥٠ - ٣٣٦ م ) من مواليد اخميم بصعيد مصر أى أنه مصرى صميم . كان له ألفة الأتباع عرفوا بالأريوسيين . وبقي مذهبهم التوحيدى حيا لفترات زمنية طويلة وصار أريوس علما للتوحيد ، حتى أن كل من جاء بعده إلى يومنا هذا من المسيحيين وأنكر التثليث والوهية المسيح ، يصمه رجال الكنيسة الرسميون بأنه أريوسى نسبة إلى أريوس المصرى !!.. ومن المعلوم أن مؤرخ الكنيسة الأول يوسابيوس القيصرى كان أريوسى المذهب !!..

وعندما دخل الإسلام لمصر كانت كنيسة الإسكندرية وقياداتها تتبع المذهب الملكانى أى التابع للملك أى الامبراطور الرومانى . وكانت تضطهد نصارى مصر ورهبانهم أى كانت تضطهد المسيحيين المصريين أصحاب المذهب اليعقوبى ، وكان للمصريين بطرك حينذاك انتخبوه سراً كما سبق بيانه وهو بنيامين الذى كان على خلاف عقائدى مع كنيسة الإسكندرية الملكانية المذهب .

جاء فى كتاب ( خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ) ما نصه :

" ولما استعاد الإمبراطور هرقل البلاد - من حكم الفرس - أراد وضع حد للاختلافات المذهبية فى أنحاء الإمبراطورية ، وأوفد إلى مصر لهذه الغاية كورش أو قيرش - المقوقس - أسقف أفاسيس فى أرمينيا فأقام أساقفة خلقيدونيين فى مصر (١) . وكان يقصد بتوحيد المذاهب إكراه قبط مصر على قبول المذهب الخلقيدونى . فاستعمل قيرش - المقوقس - وأساقفته الشدة فى سبيل تنفيذ مشيئة الإمبراطور . وكان قيرش بطريركا ملكيا ( خلقيدونيا ) وحاكما مدنيا فى وقت واحد .

(١) .. والحقيقة التاريخية المؤكدة من الوثائق المسيحية أن كنيسة الإسكندرية كانت خلقيدونية منذ سنة ٤٥١ م واستمرت على تلك العقيدة إلى ما بعد دخول الإسلام لمصر !!..

فلما رأى البطريرك بنيامين اليعقوبى المذهب <sup>(١)</sup> ذلك ، جمع رجال الأكليروس وحضهم على الثبات فى العقيدة حتى الموت ، وكتب إلى الأساقفة الأورثوذكسيين <sup>(٢)</sup> ينصح لهم بالاختفاء إلى أن تزول هذه المحنة ، واختفى هو كذلك فى دير ناء فى صعيد مصر ، وظل مختفيا ثلاث عشرة سنة ، منها عشر سنوات فى حكم قيرش ، حاق فى خلالها البلاء بأهل البلاد .

وفى هذه الأثناء فتح العرب مصر على يد عمرو بن العاص ، فكتب عمرو صكا بالأمان نشره فى أنحاء مصر يدعو فيه البطريرك بنيامين إلى العودة لكرسيه ويؤمنه على حياته . فظهر البطريرك وذهب إلى عمرو بن العاص فاحتفى به ورده إلى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة . فأخذ يعمل على أن يسترد إلى الحظيرة الأورثوذكسية الأبرشيات التى استمالها الملكانيون <sup>(٣)</sup> فكلل عمله بالنجاح .. <sup>(٤)</sup> .

ونجد الاشارة التاريخية النبوية عن أقباط مصر الواقعين تحت الاضطهاد الدينى من قِبَل حاكم مصر وكنيسة الإسكندرية ، وذلك فى رسالة النبى ﷺ إلى مقوقس مصر وحاكمها فى قوله ﷺ " **وعليك إثم القبط** " . فكان من أول الأشياء التى فعلها عمرو بن العاص عند دخوله لمصر فاتحا أن أمّن القبط وأخرج بنيامين من عزلته معززا مكرما . وبدأت الكنيسة القبطية فى الظهور على مسرح التاريخ بعد الفتح الإسلامى بجانب كنيسة الإسكندرية ..!!

فكان لمصر عند الفتح الإسلامى بطريرك رسمى متمثلا فى بطريرك كنيسة الإسكندرية التى قبلت مقررات مجمع خلقيدونية ، وبطريرك شعبى انتخب فى السرّ ( بنيامين ) وهو بطريرك الكنيسة القبطية التى رفضت قرارات مجمع خلقيدونية .

- 
- (١) .. اختلفت الآراء والأقوال فى سبب تسمية اليعقوبية . فقيل إنهم أتباع ديسقورس بطريرك الاسكندرية الذى رفض قرارات مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م ، وقيل لأن اسمه كان فى الأصل يعقوب . وقيل بل نسبوا إلى يعقوب البردغاني ( أو البرادعى ) تلميذ سويسرس بطريرك أنطاكية وكان راهبا بالقسطنطينية ، فكان يطوف فى البلاد ويدعو إلى مذهب ديسقورس . واليعقوبية معظمهم متواجد فى مصر والحيشة .
- (٢) .. وهذا أيضا تعميم للمعلومات ، فأساقفة كنيسة الإسكندرية أورثوذكسيين أيضا ، فلا معنى لتلك القولة ..!!
- (٣) .. الملكانيون أتباع كنيسة الإسكندرية كانوا أيضا أورثوذكس ، ولكنه التعظيم والتجهيل التاريخى كأن الأقباط هم الأورثوذكس الوحيدون ..!! وهذا هو دين الكنيسة القبطية ومؤرخها ، تجهيل وتعظيم دانم للحقائق ..!!
- (٤) .. نقلا عن ( تاريخ الأمة القبطية ) الحلقة الثانية خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر . تأليف كامل صالح نخلة وفريد كامل . عضوا لجنة التاريخ القبطى . نشر مكتبة المحبة سنة ١٩٤٠ م .

وبالفتح الإسلامى لمصر تخلصت الكنيسة القبطية من ظلم واضطهاد إخوانهم فى الدين الممثلين فى كنيسة الإسكندرية والحاكم الرومانى المسيحى ( رأس كنيسة الإسكندرية ) . وبدأت كنيسة الإسكندرية بعد الفتح الإسلامى فى الاضمحلال والتدهور حتى تلاشت بسبب انتمائها للقسطنطينية والإمبراطور الرومانى . ومن ثم سرقت كنيسة الأقباط تاريخها فيما بعد وزعمت أنها هى كنيسة الإسكندرية وأنها امتداد لها وأن أباءها هم أباء الكنيسة القبطية ...!!

### الكنيسة الأرثوذكسية المصرية :

رغم أن الخلافات والمنازعات كانت كبيرة بين أسقف كنيسة الإسكندرية والإمبراطور والمذاهب النصرانية الشرقية ( النسطورية واليعاقبة وأزمة أوطاخى ومشكلة مجمعى أفسس وخلقيدونية ) إلا أن الاسم الرسمى الذى يتم التعامل به فى المجمع الكنسى كان باسم كنيسة الإسكندرية ولم يكن أبدا باسم الكنيسة القبطية . وكانت كنيسة الإسكندرية تابعة للإمبراطور رغم فترات الخلاف ، فهى كانت دائما على المذهب الملكانى أى التابع للملك .

وهناك أمر آخر تميّز به المصريون المتأغرقون<sup>(١)</sup> الذين ابتعدوا عن مفلسفة المسيحية - وليس فلاسفة المسيحية - فى الإسكندرية ، وهو الرهبانية التى ابتدعوها .. وقد وصل أصحاب هذا التيار الرهبانى صفوفهم برجال الكنيسة القبطية الناشئة ليكونوا فى مواجهة السلطة البيزنطية ومحتفظين بإيمانهم المبنى على أقوال وعقيدة أباء كنيسة الإسكندرية قبل مجمع خلقيدونية ، وبدون أن يقحموا أنفسهم فى المسائل اللاهوتية . محتفظين فى نفس الوقت بما وضعه لهم العلامة السكندرى أوريجن من منهج التأويل الرمضى فى تفسير الكتاب المقدس . فكانت الرهبانية هى الحصن الذى تحصنوا فيه من ظلم واضطهاد النظام الإمبراطورى الحاكم ومن مفلسفة المسيحية فى كنيسة الإسكندرية .

(١) .. متأغرقون أى اتخذوا الحياة الإغريقية اليونانية شعارا لهم ، درسوا باللغة اليونانية وكتبوا بها وأقاموا كافة شعائرهم الدينية بها من صلوات وقداصات بمعنى أنهم نسوا هويتهم المصرية ...!!

وفى نهاية القرن التاسع الميلادى وبعد انقضاء مجمع القسطنطينية الخامس سنة ٨٧٩ ميلادية أصبح يمثل الأرثوذكسية كنيستان رئيسيتان :

- الكنيسة الأرثوذكسية المصرية ( القبطية ) ، والمعروفة باسم الكنيسة المرقسية الأرثوذكسية ( أو كنيسة الإسكندرية زورا ) . التى رفضت قرارات مجمع خلقيدونية بشأن طبيعة المسيح . وخالفت كنيسة الإسكندرية .

- والكنيسة الأرثوذكسية أو كنيسة القسطنطينية ، والمعروفة باسم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية ، التى قبلت قرارات مجمع خلقيدونية وخالفت الكنيسة المصرية فى طبيعة المسيح .

#### الكنائس الأرثوذكسية الشرقية :

رغم الانفصال المذهبى للكنائس الشرقية عن الكنيسة الغربية تحت مسمى كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية ، بعد رفض قرارات مجمع القسطنطينية الرابع عام ٨٩٦ م إلا أنها خضعت إدارياً للكنيسة الغربية تحت رئاسة بابا روما حتى الانفصال النهائى عام ١٠٥٤ م . ومن ثم أصبحت الكنائس الأرثوذكسية لا تدين بالولاء العقدى للكنائس الغربية التابعة لروما وما ظهر منها من طوائف كاثوليكية وبروتستانتية .

وتصدرت الكنيسة القبطية الأورثوذكسية المرقسية مكانتها فى مصر والحبشة بعد أن سرقت كل تاريخ كنيسة الإسكندرية العتيقة . وتجمدت الأبحاث اللاهوتية على ما كان عليه الأمر فى كنيسة الإسكندرية قبيل مجمع خلقيدونية . فلم نسمع منذ ذلك الحين عن أسماء علماء أجلاء مثل أوريجن أو كلمنت السكندرى وغيرهم ، ولا يوجد غير التقليد البغيض الذى أطلقوا عليه مسمى الأمانة التى زعموا أنهم ورثوها عن أسلافهم .

## ثانيا : لغز اللغة القبطية

اللغة المصرية القديمة كانت لغة واحدة ، تعرضت للتطور فى طريقة كتابتها . ومع أنها لغة واحدة إلا أنها كانت تُكتب بثلاثة أشكال حسب الاستخدام والأغراض المطلوبة ( هيروغليفى ، هيراطيقى ، ديموطيقى ) شأنها كشأن سائر اللغات ، فاللغة العربية مثلا من أشكال كتابتها نجد ( الرقعة والنسخ والتلث والكوفى ... الخ ) ولم يقل أحد بأن خط الرقعة لغة أو الخط الكوفى لغة .

يقول العالم الأثرى المصرى سليم حسن فى المجلد الخامس عشر :

" عصر البطالمة .. وهو العصر الذى أصبحت فيه الديموطيقية<sup>(١)</sup> من حيث الكتابة واللغة هى السائدة فى البلاد المصرية بين أفراد الشعب المصرى الأصيل . لدرجة أن ديموطيقية أصبحت تطلق على اللغة المصرية بوجه عام كما تشير إلى ذلك المراسيم التى صدرت فى عهد البطالمة . على أنه كان يستعمل بجانبها اللغة الإغريقية التى كانت لغة الشعب المستعمر وقتئذ طوال مدة حكمهم من أول عهد الاسكندر الأكبر حتى نهاية العهد الرومانى " . ثم قال " ولما كان الشعب المصرى الأصيل متمسكا بتقاليدته منذ أقدم العهود فإنه استمر فى تدوين كل شئونه باللغة الديموطيقية ، ولم يحاول قط تعلم اللغة الإغريقية - لغة المحتل - حتى دخل الإسلام البلاد " .

وقال رحمه الله فى موضع آخر : " واللغة الديموطيقية هى طريقة من طرق كتابة لغة مصر القديمة . وهى ليست إلا تطورا طبيعيا لها ظهر فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، واستمرت هذه الطريقة جنبا إلى جنب مع الكتابة بالخط الهيروغليفى ( الكتابة المقدسة ) وهو خط فاخر منبثق يتم نقشه على الآثار الضخمة ، كما استمرت مع الخط الهيرواطيقى المختصر الذى اختفت منه كل آثار الصور الأصلية فى الكتابة الهيروغليافية ..

(١) .. الكتابة الديموطيقية كانت النمو الطبيعى للخط الهيرواطيقى المختصر ( الذى يعد بدوره اختصارا للخط الهيروغليفى الذى يكتب بالقلم ) . والتعبير ديموطيقى فيه الدلالة على الكتابة العامية المتداولة بين أفراد الشعب . ( راجع موسوعة مصر القديمة للعالم الأثرى سليم حسن ج ١١ ص ٢٥٥ ) .

وتم تخصيص الخط الهيراطيقى لنسخ الكتب المقدسة وما شابهها . فى حين أن الكتابة بالخط الديموطيقى كانت تستعمل للأغراض العادية اليومية مثل كتابة العقود والوثائق القانونية ... " انتهى النقل من الموسوعة (١) .

**قلت جمال :** وحيث أن فترة الاحتلال اليونانى والرومانى جاوزت الألف سنة تقريبا ، ولم يغيّر فيها الشعب المصرى لغته إلى أن دخل الإسلام أرض مصر . فترك الشعب المصرى ما كان عليه وتكلم باللغة العربية طواعية خلال خمسة وعشرين عاما فقط فى ظل الإسلام . فأين ذكر اللغة القبطية وما هو موقعها من الإعراب فى تاريخ مصر ..؟!

فأقول وبالله أستعين ..

كانت اللغة اليونانية هى لغة الحكومة المحتلة لمصر فى العصرين البطلمى والرومانى حتى بداية دخول الإسلام لمصر عام ٦٤١ م . ولم تحاول حكومة المحتل أن تتعلم اللغة المصرية رغم تواجدها لمدة قاربت الألف سنة . ولم يتعلم الشعب المصرى لغة المحتل وتمسك بلغته الديموطيقية . فكيف تم التفاهم بين الطرفين ..!!!؟

كان ولا بد من وجود طرف ثالث يتم بواسطته تفاهم الطرف الأول مع الطرف الثانى وليس العكس فكانت القبطية .. وكلمة قبطية فى أصلها يونانية وصَفَ بها المتكلمون باللسان اليونانى المصريين .. فوضع اليونان اللغة القبطية لتكون الوسيط للتفاهم بينهم وبين المصريين ، وليس العكس أى أن المصريين لم يتكلموها ، فهم ليسوا بحاجة إلى اليونان ولغتهم ، بينما اليونان فى حاجة إلى قمح مصر وخيراتها فلا بد من التفاهم مع المصريين .. فقام اليونان والممثلين لحكومة المحتل بنقل أصوات كلمات مصرية وكتبوها بالحرف اليونانى ( transliteration ) ليفهمها المصريين بمجرد سماعها من اليونان ، وكان ذلك فى أواخر القرن الميلادى الأول كمشاهدة أولى . وأطلقوا عليها اسم القبطية الأولى .

(١) .. موسوعة مصر القديمة / سليم حسن ( ج ١٥ ص ٥٢٢ - ٥٥٥ ) .

ولما دخلت المسيحية مصر وحاول المبشرون اليونان وأباء كنيسة الإسكندرية أن يفهموا المصريين تعاليم المسيحية ، لم يكن أمامهم سوى اللجوء إلى القبطية الأولى التى صنعها البطالمة ليخاطبوا بها المصريين . فتم تطويرها قليلا فى القرن الرابع الميلادى بإضافة سبع حروف مصرية إلى حروفها اليونانية الثلاث والعشرين حرفا ليتم رفع درجة التباين الصوتى للكلمات لتقترب فى منطوقها من صوت الكلمات التى يتكلمها المصريون .

ومن الجدير بالذكر هنا أن أساقفة الإسكندرية آنذاك كانوا أحد اثنين :  
إما يونان منحدرين من أصول يونانية تمصرت وأصبحت مصرية بالإقامة .  
وإما مصريون تأغرقوا واتخذوا من اليونانية لغة الفكر والثقافة والدراسة لسانا .  
وكلاهما كان يمارس اليونانية فكرا ونهجا ولسانا ، ولم يكن أساقفة الكرسى السكندرى وحدهم على هذا النهج ، بل كان الاكليروس المصرى كله على هذه الحال ، وذلك أن الصلوات والقداست والعظات الكنسية كانت تؤدى باللسان اليونانى ، والمناقشات العقديّة وأسلوب الحوار فى المجامع الدينية ليس فى مصر وحدها ، بل فى النصف الشرقى كله من الامبراطورية كان يونانيا .

وظل الأمر يسير على هذا المنوال حتى مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١ م وأقر بوجود طبيعتين فى المسيح .. وحدث الانشقاق المصرى حيث قبلت كنيسة الإسكندرية قرارات مجمع خلقيدونية ورفضه بعض المصريين تحت زعامة دسقورس وأعلنوا الانشقاق على كنيسة الإسكندرية وانتخبوا بطركا لكنيستهم فى السر كما أسلفنا الأمر سابقا . ومن ثم فقد أعلن المصريون بأن اليونانية لن يستخدموها فى صلواتهم كنوع من الاحتجاج ، ولم يكن أمامهم سوى القبطية التى صنعها اليونان فعملوا بها كنوع من الاحتجاج الثقافى الفكرى على مذهب كنيسة الإسكندرية بخصوص مجمع خلقيدونية ..

ورغم ذلك فلم يتكلم عامة المصريين اللغة القبطية وظلت حبيسة فى جانب رجال الكنيسة المصرية لتكون الوساطة بينهم وبين المصريين . وتدلنا كتابات آباء

كنيسة الإسكندرية على أنهم كانوا يتكلمون ويكتبون باليونانية واللاتينية كلغات أولى عندهم ولم تكن القبطية بذات أهمية كبيرة عندهم .

أمّا عن الكتابات المسيحية المكتوبة بالقبطية والتي تم اكتشافها فى كل من نجع حمادى والمنيا وغيرها من الأماكن المصرية ، فقد تبرأ منها قسس ورهبان الكنيسة القبطية الحالية ووصفوا كتبها بأنهم هراطقة كفار خرجوا عن المسيحية القويمة ...!! ولم يكتب آباء كنيسة الإسكندرية كتبهم وأبحاثهم اللاهوتية بالقبطية . وتتصل آباء الكنيسة القبطية من الكتابات المسيحية القبطية التى تم اكتشافها حديثاً مع أنها كتبت فى العصر المعنى بالدراسة أى فى القرن الثالث والرابع الميلادى ...!!

نخرج مما سبق أنّ اللغة المسماة بالقبطية كانت لغة مصنّعة .. صنعها اليونان لتسهيل عملية اتصالهم بالمصريين ، والتبشير بالمسيحية بين المصريين . ولم تكن فى يوم من الأيام لغة للشعب المصرى .

ولكن إخوان المواطنين لا يقبلون بذلك القول ويصرون على أنّ القبطية كانت لغة مصر يتكلمها جميع المصريين ، ولا دليل عندهم سوى التعصب .. يقول مؤلفا كتاب ( تاريخ الأمة القبطية ) وهما من المعتدلين قبل أن تصيبهما لعنة جماعة الأمة القبطية : " وبقيت الأمة المصرية فى مدة حكم الرومانيين محافظة على لغتها القديمة لا تتكلم إلا بها ولو أنها قد استعاضت فى كتابتها بالخط الهيروغليفى الحروف اليونانية المستعملة الآن " (١) .

قلت جمال : وهذا معناه أنّ من يعرف القبطية يتمكن من حل شفرة اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية . وهذا القول لم يقل به إنسان عاقل ولا علماء المصريين ، فلم تحلّ شفرة المصرية القديمة إلا عن طريق حجر رشيد وليس عليه أثر من آثار اللغة القبطية ...!!

(١) .. تاريخ الأمة القبطية ( الحلقة الثانية ) ص ١٠٢ .

ولقد قال كثير من علماء اللغة القبطية أنها لم تكن بالقطع تطورا أو امتدادا طبيعيا للغة مصر القديمة أو تطورا طبيعيا لطرق كتابتها .. بدليل انعدام القدرة بالعديد من الأبحاث اللغوية على ارجاع اللغة القبطية إلى أصول اللغة المصرية القديمة بكتاباتها الثلاث . ولعدم التمكن من حل شفرة اللغة المصرية القديمة عن طريق اللغة القبطية . ولولا اكتشاف حجر رشيد لما تمكن شامبليون والعلماء من بعده من حل شفرة اللغة المصرية القديمة . والقارىء يعلم أنّ حجر رشيد مكتوب بلغتين مصريتين والمقابل لهما باليونانى ولا ذكر فيه للغة القبطية . بمعنى أنّ تفسير الكتابات المصرية القديمة كان سرا غامضا لمدة قاربت من الألفى سنة على هؤلاء القبط الذين يتمسكون فى بعض الأوقات باللفظ قبط و أقباط للدلالة على أصالة جذورهم المصرية ..

إنّ هذا اللفظ قبط و أقباط جاء لمصر من خارجها فى أسوأ فترة من فترات تاريخها وتم فرضه إسما لشعبها فى فترة من فترات تدهورها تحت الإحتلال اليونانى والرومانى .. فاللغة القبطية لم تحفظ لمصر تاريخها أو ثقافتها لأنها لم تكن امتدادا أو تطورا طبيعيا للغة شعبها ..

وأجمع المؤرخون أنّ لغة المجتمعات المسيحية التى بدأت تظهر لأول مرة فى مصر فى القرن الثالث الميلادى لم تكن سوى اللغة اليونانية .. أى أنّ تلك المجتمعات المسيحية الناشئة لم تفكر أيضا فى تعلم لغة الشعب المصرى تقريبا منه أو حبا له ولمصلحته ، كما لم تفكر فى بذل أى محاولات لتطوير ما أطلقوا عليه مسمى اللغة القبطية لتكون امتدادا للغات مصر القديمة . واقتصر استخدامهم لهذه اللغة المصطنعة فى توصيل المسيحية اليونانية وفلسفتها للشعب المصرى !!..

كما لا يوجد أى دليل تاريخى على وجود أعداد مسيحية كبيرة بمصر حتى منتصف القرن الثالث الميلادى ، وبقي العنصر المسيحى فى مصر ممثلا فى أقلية تتكلم اليونانية حتى بداية القرن الرابع الميلادى . وقد نشأ هذا العنصر اليونانى المسيحى فى مصر متصلا بالثقافة الهلينية أى بالفكر والثقافة اليونانية ومتأثرا بها .

وأكبر مثال على ذلك هو أنّ أهم مجمع مسيحي مهّد الأمر لظهور الكنيسة القبطية وبين سائر الكنائس وهو مجمع خلقيدونية في سنة ٤٥١ م حيث كان آباء كنيسة الإسكندرية الممثلين فيه يونانيين اللسان يتكلمون بلغة كنيسة الإسكندرية الأولى والأصلية ألا وهي اليونانية . حتى ديسقورس الذى قاطع المجمع وانتسب إليه مسيحيو الكنيسة القبطية فيما بعد كان يونانياً يتكلم اليونانية وليس القبطية...!!  
فالدعوة إلى المسيحية بمصر لم ترتبط بلغة مصر والمصريين ولكن بلغة مصنّعة لا يتكلمها إلا المحتل وكهنته . فبدأ منذ ذلك الوقت ارتباط جزء من تاريخ تلك اللغة الوسيطة المصنّعة بنشاط الدعوة إلى المسيحية .

يقول المؤرخ الأثرى جونسون فى كتابه " النظام المنطوق للغة الديموطيقية ( The Demotic Verbal System ) أنه لاحظ بعد فحصه لكثير من البرديات المكتوبة باللغة الديموطيقية ، أن هناك فرقا واضحا وكبيراً بين اللغة الديموطيقية وبين اللغة القبطية ، فلم تكن اللغة القبطية نقلاً أو نسخاً للكتابات الديموطيقية بأبجدية يونانية ، ولكنها كانت نسخاً مختزلاً لبعض ما ينطقه المصريون من لهجات مختلفة تأثرت كثيراً بلهجات ولغات أجنبية انتقلت إليهم عبر التاريخ الإستعماري الطويل ونتيجة لإختلاطهم المتكرر بموجات الهجرة السامية المختلفة .

وقال أنّ العوامل الاجتماعية والاستعمارية ورغبة المحتل فى تسخير المصريين هى التى خلقت الاحتياج لاصطناع تلك اللغة القبطية نظراً لصعوبة تعلم اللغة الديموطيقية عليه وعلى الغرباء الجدد من المسيحيين ، وأنه رغم اصطناع هذه اللغة الجديدة ، إلا أنّ المصريين احتفظوا بلغتهم الديموطيقية وكانت هى لغة الكتابة عندهم . واستمرت كلغة منطوقة عند طبقة المحافظين وعند الطبقة البيروقراطية المصرية حتى الفتح العربى الإسلامى .

ويستمر جونسون بالقول أنّ اللغة الديموطيقية احتفظت بنقائنها وأصالتها إلى حد كبير فى صعيد مصر ، حيث لم يختلط أهلها كثيراً بلغة وثقافة

الغرباء والمحتلين ، فى حين أن لغة أهالى الوجه البحرى الدارجة كان يغلب عليها كثرة استخدام الكلمات اليونانية .

ويقول الدكتور بولس عياد وهو أستاذ فى قسم دراسة المجتمعات البشرية بجامعة كلورادو : أن اللغة القبطية لم تُصنع لتكون لغة واحدة منطوقة للشعب المصرى القديم .. فقد اتضح من دراسة المخطوطات والنقوش القديمة أن اللغة القبطية كانت نسخاً مختزلاً للهجتين رئيسيتين من لهجات الشعب المصرى القديم مكتوباً بالأبجدية اليونانية ، الأولى هى اللهجة الصعيدية الدارجة ( Sahidic Dialect ) والثانية هى لهجة الوجه البحرى الدارجة ( Boheiric Dialect ) . وكانت لهجة الوجه البحرى هى اللهجة الدارجة لسكان مدينة الإسكندرية ومدن الدلتا ووادى النطرون .. وتم بتلك اللهجة كتابة تراتيل وأناشيد الكنيسة المصرية التى مازالت تتردد حتى اليوم كطقوس فى الكنيسة المصرية ما عدا ترتيلة ( hymn ) واحدة . أمّا لهجة أهالى الصعيد فقد انقسمت بعد ذلك فى اللغة القبطية المصطنعة إلى لهجة صعيدية دارجة من مدينة البهنسة (بمحافظة بنى سويف الحالية) وحتى مدينة أسيوط ، وإلى لهجة فيومية دارجة ( Faiyumic ) لأهالى الفيوم ، وإلى لهجة أخميمية دارجة لأهالى أخميم .. ثم حلت اللهجة الصعيدية الدارجة محل اللهجة الأخيرة بعد ذلك .. أى أنه يمكن القول فى النهاية أن اللغة القبطية كانت نسخاً مختزلاً بالأبجدية اليونانية للهجتين دارجتين أساسيتين للشعب المصرى القديم .

وأنّ مدينة الإسكندرية قد فرضت بأغلبية سكانها الناطقين باللغة اليونانية على آباء الكنيسة المصرية ولوقت طويل أن يسجلوا باللغة اليونانية كل ما كتبوه عن اللاهوت وأمور الدين ، وأن يمارسوا طقوسهم كذلك باللغة اليونانية ، إلى أن تم نسخ كل ذلك إلى اللهجات المصرية الدارجة بما يسمى باللغة القبطية بأبجديتها اليونانية مع إضافة سبعة أحرف صوتية من اللغة الديموطيقية .

أى أنّ اللغة القبطية وبهذا الشكل الذى أوضحناه من قبل ، قد تم اصطناعها خصيصاً فى البداية لتحقيق مصالح المحتل الرومانى وأغراضه الإستعمارية ، ثم

استغلها بعد ذلك المبشرون بالدين الجديد وطوروها كوسيلة اتصال بالشعب  
المصرى تحقيقا لمصلحتهم في نشر الدعوة .

بما يعنى أن هذه اللغة لم تصنع خصيصا من أجل مصر أو من أجل  
الحفاظ على تراثها القديم أو على ثقافة وحضارة أهلها منذ فجر التاريخ ، ولم تنشأ  
تلك اللغة امتدادا أو تطورا طبيعيا للغة مصر القديمة المكتوبة على أوراق البردى  
والمحفورة على المسلات وكتل الحجارة .

وأخيرا جاء عمرو بن العاص عام ٦٣٩ م فاتحا لمصر فى عهد الخليفة  
عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، ومعه أربعة آلاف رجل فقط . أكثرهم من  
الصحابة وحفظة القرآن الكريم . ويقودنا المنطق البسيط إلى أن هذا العدد البسيط  
من الرجال فى هذا الزمن الذى كان يعتمد فى الأساس على كثرة العدد فى الحروب  
والقتال ، لا يمكن بأى حال من الأحوال اعتباره جيشا مجيشا جاء إلى مصر للقتال  
والحرب واستعراض القوة .

وحتى عندما قفلت مدينة الإسكندرية أبوابها فى وجه عمرو بن العاص .  
وكانت قلعة للمذهب المسيحى الحاكم فى ذلك الوقت ، مفتوحة على البحر دون حصار  
لم ينقطع عنها المدد والدعم من البيزنطيين ، تركها عمرو بن العاص ولم يقتحمها إلى  
أن سمع أهلها بسماحة الإسلام والمسلمين ، وأن أساس دعوتهم أن لا إكراه فى الدين .  
فاطمأنت قلوب أهلها وفتح أسقفها أبوابها للمسلمين فى ٨ نوفمبر عام ٦٤١ م .

**ويبقى السؤال الهام جدا والذى يبحث عن إجابة معقولة ..؟؟**

إن كانت مصر قد رضخت تحت احتلال قاهر متسلط لأكثر من ألف ومائة سنة إلى  
أن دخلها الإسلام عام ٦٤١ م ، وتعرضت خلال هذا الزمن الطويل لضغوط قاسية  
ومحاولات عديدة لفرض ثقافة البطالمة الهلينية ولغتهم اليونانية ، ثم تعرضت  
للإبتراز والقهر والهوان وسوء المعاملة تحت الحكم الرومانى والبيزنطى . وتعرض  
مسيحيوها إلى قهر إخوانهم فى الدين أقصد قهر آباء كنيسة الإسكندرية ..

وكانت اللغة اليونانية هي لغة البلاد الرسمية المفروضة على مصر خلال كل هذا الزمن ولأكثر من ألف سنة متصلة . ومع ذلك كله صمد الشعب المصرى الأصل ولم يستخدم اللغة اليونانية وأبجديتها كما استخدمها المسيحيون الجدد . واحتفظ بلغته وسجل بها وبأبجديتها كل شؤونه حتى دخل الإسلام البلاد ..

فما هي المعجزة التي جعلت الشعب المصرى يتخلى عن لغته وأبجديته وينطق لغة القرآن ويكتب بالأبجدية العربية وتُعرَّب الطقوس المسيحية والصلوات . حتى أن مؤرخيهم وكتابهم كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية وتسموا بأسماء عربية أمثال سعيد بن البطريق وابن بكر وأولاد العسال وغيرهم ..!!؟

من الغباء أن يقول البعض أنه بسبب قهر المسلمين العرب لهم .. لقد تعرض المصريون من قبل لظلم وقهر لاحدود لهما أكثر من ألف عام متصلة وتمسكوا بلغتهم وأبجديتها .. إنه سؤال يحتاج إلى باحث متخصص ومحيد يعيد قراءة التاريخ من جديد فقد تعرض للأسف تاريخ مصر وتاريخ الإسلام فيها إلى كثير من الحقد والتزييف والتشويش ، ومازالت الحملات المسعورة ضد التاريخ المصرى مستمرة . نحتاج لباحثين مصريين وليس إلى باحثين أقباط ليقولوا لنا الحقيقة تحت شعار الأمانة العلمية وحب مصر .

قلت جمال : تلك قراءة سريعة وملخص مركز حول ما يُسمى باللغة القبطية والأقباط ، والحملة المسعورة من أتباع الكنيسة القبطية ضد الإسلام والمسلمين المصريين<sup>(١)</sup> .

(١) .. تم جمعه وتصويبه من عدة كتب ومراجع من أهمها موسوعة سليم حسن ، وبحث رافع من المهندس عاطف هلال منشور على شبكة المعلومات الدولية فله من الله ما يستحق بما أدى لخدمة مصرنا الحبيبة . وإن كان بمقالته خلط شديد ومفاهيم خاطئة عن مسيحي مصر وكنيسة الإسكندرية حيث لم يفرق بين الكنيستين القبطية والإسكندرية ويفصل بين عقيدتهما ، وهو معذور فليس من المتخصصين في البحث عن المسيحية وكنائسها . فأصلحت ما تم اصلاحه من المهمات وتركت الهينات . فله منى الشكر والإعتذار لما نقلت عنه بعد إصلاح الخلل وما قمت به من تحرير المصطلحات . وله الفضل والسبق في الفكرة . والموضوع يحتاج إلى كتاب كامل شامل واف عن القبط والأقباط واللغة القبطية والتاريخ القبطى المزعوم . ربما إن كان فى العمر بقية قمت بذلك العمل بإذن الله تعالى . وإن كانت الأخرى فهى أمانة أمام الباحثين المصريين ليكتبوا ذلك الكتاب ويبينوا للناس الحقيقة .

وقبل الختام أشير بلمحة سريعة إلى ضياع الهوية المصرية عند مَنْ يلبسون قناع القبطية .. فالمصرى مصرى الجنسية مهما كانت ديانته .. فلم تُغيّر عقيدته الدينية جنسيته ، فلا المسيحية ولا الإسلام غيرا من جنسيته فهو دائما مصرى الجنسية وإن اعترز بديانته مهما كانت ..

أنظروا مثلا لأسماء المصريين تجد فيهم نجيب وفهيم وبرعى وبيومى ونظير ونصيف وعماد وجمال و ... الخ . وتلك أسماء مصرية لا تحوى بين طياتها ديانة أصحابها فمنها المسلم ومنها المسيحي على السواء ، ولكن عندما يلتحق بعض إخوان المواطنة بالسلك الكهنوتى القبطى تتغير الأسماء مباشرة إلى أسماء يونانية كأنّ مسيحية الأقباط حكر على اليونان .

فينظرة سريعة إلى أسماء القسس والرهبان الأقباط الحاليين نجدها يونانية بينما أسماء إخوانهم من القسس الإنجيليين المصريين تظل كما هى صفوت ورضا وعدلى وصموئيل ...!! فلماذا يتغير اسم نفس الشخص ثلاث مرات من نظير إلى أنطونيوس ثم إلى شنودة ...!!؟! فالأول مصرى عادى لا غبار عليه ، أمّا الثانى فهو يونانى عريق تلبس به عندما صار راهبا . والثالث قبطى اللغة معناه المُخبر عن الإله أى بمعنى النبى الذى يُكلمُ المصريين باللغة المُصنَّعة إيّاها ...!!

ومن أمثلة ضياع الهوية عند المسيحيين الأقباط الولع الشديد بأسماء الفراعنة مثل رمسيس و مينا و إيزيس وغيرهم .. كأنّ هذه الأسماء تجعلهم مصريين وفى الحقيقة أنها تدل على ضياع الهوية والدين معا ، لأنهم لبسوا قناع المستعمر اليونانى وقالوا بقولته للمصريين أنهم قبط وأقباط ...!! ومنهم من تضيع هويته فى خضم الأسماء الأجنبية مثل موريس و لويس ويترك الأسماء المصرية عويس و عتريس ...!! فلا هو مصرى ولا هو أوروبى ...!!

فَاتَاَ اللهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

## كنيسة المسيح التي والصخرة

نظرا لتعدد الكنائس ولقول كل كنيسة بأنها كنيسة المسيح ، فمن الواجب أن أبيين للقارئ أين كنيسة المسيح التي أراد أن يبينها على الحجر الذي رفضه البنائون . ولم يُعط لأتباعها اسما معنا لا مسيحيين ولا نصارى ولا غيرها من أسماء وُجدت فيما بعد . وإنما أعطى اسما مُحدّدا لكنيسته .

فبين المسيح التي الاسم الحقيقي لكنيسته التي كان يود أن يبينها فقال التي حسب نص إنجيل مرقس ( ١١ : ١٧ ) " أما كتب أن بيتي بيتا للصلاة يُدعى عند جميع الأمم " . فاسمها عند جميع الأمم " بيت للصلاة " أى مسجدا وليس كنيسة العربية ولا إكسليا اليونانية ولا تشيرش الإنجليزية ، فلا يوجد معنى بيت للصلاة فى تلك الكلمات .

فالغرض الأساسى من كنيسة المسيح هو أن تكون بيتا للصلاة فقط . ولا يوجد فى العربية كلمة تشير إلى ذلك المعنى إلا كلمة مسجد . ولذلك عبر الإنجليى اليونانى مرقس مترجما الكلمة الأرامية التي نطقها المسيح بلسان قومه إلى كلمة ( οίκος ) اليونانية والتي تنطق أويكس ( oy'-kos ) ورقمها ( ٣٦٢٤ ) فى القواميس الكتابية وهى فى اليونانية بمعنى معبدا أو بيتا للعبادة . ولم يقل مرقس إكسليا ( εκκλησιαν ) أى الكلمة اليونانية التي بمعنى كنيسة ..  
فهل فهمنا الفرق ...!!!

أمّا عن المسجد الإسلامى فهو فى أصل معناه بيت للصلاة يُدعى . فكلمة السجود - والتي هى أهم مَعْلَم يشير إلى الصلاة - توجد فى الاسم مسجد . وتلك إشارة إلى أهم شىء فى العبادة وهى الصلاة ، ذلك المعنى الذى نفتقده فى كلمة كنيسة أو فى جميع مرادفاتها فى لغات العالم المختلفة . وأقرب مرادف فى اليونانية لكلمة مسجد العربية هو كلمة ( أويكس ) ( οίκος ) التي ذكرها الإنجليى مرقس أول كتبة الأناجيل تدوينا . والكنيسة ليست ترجمة لكلمة أويكس باتفاق .

ونشاهد ذلك المعنى التقريري من رسول الإسلام ﷺ حين بيّن لصحابته أنّ المعنى الصحيح لكلمة كنييسة هو كلمة مسجد . وذلك فى الحديث الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه (ج ٢ / ص ٢١٤) عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أُمَّ سَلْمَةَ ذَكَرَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَنِيِسَةَ رَأَتْهَا يَارِضَ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا مَارِيَةٌ فَذَكَرَتْ لَهُ مَا رَأَتْ فِيهَا مِنَ الصُّورِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَوْلَيْكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ أَوْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَ أَوْلَيْكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ " . فقالت أم سلمة كنييسة وصحح لها النبى العربى الأُمى ﷺ القول وقال لها مسجد<sup>(١)</sup> . فهل كان النبى ﷺ يعرف اليونانية - وهو الأُمى - حتى يُصحح الترجمة أم عن طريق الوحي تكلم ...!!؟

فالمسيح عليه السلام كان يتكلم عن بيت للصلاة أى مسجدا .. وتكلم نبى الإسلام عن المسجد ، وكان أول شىء فعله عقب الهجرة إلى المدينة مباشرة هو بناء المسجد . فلنحفظ ذلك المعنى جيدا لحين الكلام عن نص إنجيل متى التالى .

فإذا جننا إلى إنجيل متى الذى أخذ عن مرقس ونقل عنه ، لننتعرف على تحريف كلمة مسجد التى تشير إلى بيت الصلاة الذى كان المسيح يودُّ أن يبنيه أثناء بعثته .. فقال المسيح ﷺ فيما رواه متى فى إنجيله ( ١٦ : ١٨ ) من قول المسيح لبطرس كبير تلاميذه :

" وَأَنَا أَقُولُ لَكَ أَيْضًا : أَنْتَ ... [ بَطْرُسُ ] ...

وَعَلَى هَذِهِ ... [ الصَّخْرَةِ ] ... أَبْنَى ..... [ كَنِيِسَتِي ] ...

وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا " .

ثلاث كلمات بَطْرُسُ ( پتروس ) ؛ الصَّخْرَةَ ( پترة ) ؛ كَنِيِسَتِي ( εκκλησιαν )  
بُنِيَ عليهم مفهوم النص الإنجيلى ..

(١) .. لقد كان نبى الإسلام ﷺ قرآنا يمشى على الأرض .. نلاحظ ذلك من قصة أصحاب الكهف والرقيم التى ذكرها الله تعالى فى قرآنه إلى ذلك المعنى فى قوله تعالى حكاية عن القوم الذين يُعِثُ فيهم الفتية " أصحاب الكهف والرقيم " ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم لننتخذن عليهم مسجدا ﴾ . وقد ثبت لى بالدليل القاطع أن هؤلاء القوم كانوا من نصارى العرب ( راجع التفصيل فى كتابى أصحاب الكهف والرقيم ) .

كيف نفهم ذلك النصّ وتلك المقولة التي فسّروها تفسيراً مُضحكاً ..؟!؟

فماذا قال المسيح عن تلميذه ..؟!؟

ومماذا قال عن البيت الذي يريد بناءه ..؟!؟

ومماذا قال عن نفسه ..؟!؟

وما معنى الكلمة اليونانية التي ترجموها إلى كنيسة ..؟!؟

ومفتاح الإجابة نجده مفقوداً بين شئنين :

- بين [ بَطْرُسُ ] و [ الصَّخْرَةَ ] ، لأنَّ بطرس معناه حجر ، أى أن نصف

الإجابة متوقف على التفرقة بين الحجر و الصخرة .. وللقارىء أن يقول إنَّ أهم

جزء فى الإجابة مرهون على معرفة ما هى هذه الصخرة ..!!؟

- ونصف الإجابة الثانى متوقف على التفرقة بين كلمة بيت الصلاة ( أويكس

oikos ) وبين كلمة ( إكلسيا εκκλησιαν ) التي لا تفيد أى معنى من معانى العبادة

- وخاصة الصلاة - والتي ترجموها إلى كنيسة بالعربية .

لقد غابت الاجابة عن المسيحيين ألفى سنة بقولهم أنَّ الصخرة هى بطرس ..!!؟ وأنَّ

بيت الصلاة هو الكنيسة ..!!؟

هناك أشياء هامة لا بد من معرفتها والتفريق بين بطرس والصخرة وبين

بيت الصلاة والكنيسة .. وما معنى كلمة كنيسة بلغة المسيح إن أردنا أن يكون

معناها بيتاً للصلاة ..؟!؟ ومَنْ هو الذى قام ببناء ذلك البيت ( علماً بأنَّ المسيح قال

سوف أبني ولم يقل بنيت ) ..؟!؟ ولم يبين المسيح الكنيسة ولا بيت الصلاة أيام بعثته .

تلك حقيقة لا بد من اجلائها للقارىء وعدم نسيانها . لأنَّ الكثيرين من

إخوان المواطنين يقولون هذه كنيستى وتلك ليست كنيستى ، مع تعدد الكنائس

والمنتتمين إليها ، وقد سبق بيان المعنى الأصلى لكلمة كنيسة فى اليونانية بأنها

بمثابة " مجلس الشعب " الذى تتخذ فيه تشريعات البلاد وقوانينها .. ولا يزال قول

إخوان المواطنين وقسيسهم يتردد بيننا " شعب الكنيسة " ..!!؟

هل يستطيع مسلم أن يقول عن بيت من بيوت الله " هذا بيتي "؟!.. أو أن يقول شيخ عن المصلين بالمساجد هؤلاء شعب المسجد؟!..  
هل وصلت الفكرة للقارىء؟!.. انفصال تام عن أهل البلد..!!

لقد اختلط معنى بيت الصلاة مع البيت الذى تتخذ فيه القرارات وتسن فيه تشريعات الشعب..!! ألم يقل المسيح فى إنجيل مرقس : " أن بيتى بيتا للصلاة يُدعى عند جميع الأمم " فقال بيتا للصلاة ولم يقل مجلس شعب أو مجلس شورى أو حتى كنيسة كما فى إسرائيل..!! وقد سبق بيان أن كلمة كنيسة فى اليونانية بمعنى مجلس الشعب أو اسم لأى مجلس آخر تتخذ فيه القوانين والتشريعات .

فالنص الإنجيلي يقول أن المسيح هو الذى سيبنى الكنيسة وأن الكنيسة كنيسته هو لا كنيسة غيره . والكنيسة هنا تُدعى بيتا للصلاة كما بين المسيح . ولن يبنى ذلك البيت - أى المسجد - على رمال أو تربة طينية وإنما سيبنى على صخرة صماء ، صخرة إيمان قوى ، فما هى تلك الصخرة الإيمانية..؟!

يقول المسيحيون سريعا وبدون تفكير .. الصخرة هى بطرس .

قالبائى عندهم هو المسيح والمبني هو الكنيسة والمبني عليه هو بطرس..!!  
كيف يستخرجون ذلك المعنى المضحك من عبارة المسيح " أنت بُطرسُ . وعلى هذه الصخرة أبني كنيسة وأبواب الجحيم لن تقوى عليها "؟!..؟

فهل الصخرة التى ستقام عليها الكنيسة هى بطرس..!!؟ وهل قال المسيح

أنت بطرس و عليك سابنى كنيسة..!!؟

وعلى ذلك المفهوم الخاطيء ظهر بابوات الفاتيكان وكل منهم يدعو نفسه فيكار بطرس أى المتحدث الرسمى عن بطرس أو نائب بطرس . ثم تحول اللقب فيما بعد إلى فيكار المسيح أى نائب المسيح على الأرض أى الممثل الرسمى والمتحدث باسمه..!! وهنا نجدهم يتكلمون عن الكنيسة بأنها جسد المسيح على الأرض..!!

ومن ثم فقد تحول المعنى عندهم بدلا من بناء الكنيسة على شخص بطرس ( الحجر ) إلى بناء الكنيسة على إيمان بطرس ( الحجر ) ، ثم إلى الإيمان القويم

الجامع الذي كان عليه بطرس ( الحجر ) . ومن ذلك المعنى المستخرج قالوا  
بالكنيسة الجامعة أى الكنيسة الكاثوليكية ، فكلمة كاثوليك معناها الجامعة !!..

وإلى القارىء قول الكاثوليك أثناء شرحهم لتلك الفقرة الإنجيلية كما جاء

فى ( *A Brief Catechism for Adults* by William J. Cogan ) :

" What did Jesus do to make sure His Church would always be united ? He put one man in complete charge of His Church . Who has complete charge of the Church ? The Pope , who is the bishop of Rome and the Vicar (agent) of Christ on earth. Who is the Pope ? The Pope is the visible head of the whole Catholic Church . Who was the first Pope ? St. Peter , who was made Pope by Jesus Christ Himself . When did Jesus promise to make Peter the Pope ? Several months before He died . " *Thou art Peter , and upon this rock I will build my Church* " (Matthew 16:18) .

فهل انتهى تفويض المسيح لبطرس - بعد موت بطرس فى روما - حسب ذلك المفهوم الخاطيء..؟! لا .. لا .. لم ينته التفويض حسب قولهم . فقد انتقل تفويض المسيح لبطرس إلى بابوات الفاتيكان من بعده . فتقلد الأمر رجل منهم يدعى لينوس ومن بعده جاء كلينوس ثم جاء كليمنت الرومانى ثم إلى آخر وآخر .. وهكذا لمدة ألفى سنة مضت !!..

وعلى ذلك فالكاثوليك يؤمنون بأن بطرس هو البابا الأول وهو الصخرة التى أقيمت  
عليها الكنيسة<sup>(١)</sup> !!..

(١) .. تمت الاستفادة هنا من الكتاب الإلكتروني :

*A Brief Catechism for Adults* by William J. Cogan, p. 60.

وحقيقة الأمر أن المسيح لم يعين بطرس ولا غيره ليكون بدلا عنه أو ممثلا له على الأرض .. لقد حدّد المسيح وبين جيدا من سيأتي بعده وله تكون الطاعة فقال **الطاهر** كما فى إنجيل يوحنا " لكفى أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسله إليكم . ومتى جاء ذلك يئكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة . أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بى . وأما على بر فلائى ذاهب إلى أبى لا تروتنى أيضا . أما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين . إن لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية . ذلك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم كل ما للاب هو لى . لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم . بعد قليل لا تبصروتنى ثم بعد قليل أيضا تروتنى لأنى ذاهب إلى الأب " ( إنجيل يوحنا ١٦ : ٧ - ١٦ ) .

وقال **الطاهر** أيضا " وأنا أطلب من الأب فيعطيكُم معزيا آخر ليملك معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم " ( يوحنا ١٤ : ١٦ - ١٨ ) .

لقد اختار المسيح البارقليط روح الحق . وقال بارقليط آخر مثل المسيح ولم يقل بطرس ، ولم يوصف بطرس فى أى موضع من الكتاب بأنه بارقليط أو روح الحق أو حتى معزيا ليتم رسالة المسيح ويقول لهم الحق كله ..!!

ومن قول بولس فى ( أفسس ١ : ٢٠ - ٢٢ ؛ كولوسى ١ : ١٨ ) نسأل القارىء المسيحي : من هو رأس الكنيسة ..!!! هل هو بطرس ..!!!؟  
ومن قول بولس فى أفسس ( ٤ : ٥ ) كم هناك من أرباب الكنيسة ..!!!؟ فالكنيسة ليس لها إلا رب واحد . هو بانيتها فكيف نوفق القول ونفهمه ..!!!؟

ونلتزم بقول المسيح بالأنا نقول بابا لأى أحد على الأرض إلا للاب الوالد حقيقة . فقد نهاهم المسيح عن قولهم بابا بمفهومها المجازى لغير الأب الذى فى

السماء فقال لهم : " وَلَا تَدْعُوا لَكُمْ أبا عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ " (متى ٢٣ : ٩) .

والأدهى والأمر أنهم يقولون قداسة البابا وذلك وصف لا يقال إلا لله تعالى .  
انظروا إلى قول المسيح وهو يناجى ربّه " أَيُّهَا الْآبُ الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِي  
أَعْطَيْتَنِي " ( يوحنا ١٧ : ١١ ) . فقولهم قداسة البابا هو هو معنى الآب القدوس بدون  
فرق .. فهل أنتم منتهون يا إخوتى فى المواطنة ..!!!؟

وبعد تلك الجولة نعود إلى سؤالنا من تكون تلك الصخرة التى سببنى عليها  
المسجد ( بعد تصحيح الترجمة ) ..!!!؟

لقد صرفهم بولس عن الصخرة الحقيقية بقولته الصوفية " وَجَمِيعَهُمْ شَرَبُوا شَرَاباً  
وَاحِداً رُوحياً ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَشْرَبُونَ مِنْ صَخْرَةٍ رُوحِيَّةٍ تَابِعَهُمْ وَالصَّخْرَةُ كَانَتْ  
الْمَسِيحُ " ( ١ كورنتوس ١٠ : ٤ ) . وقال : " وَيَسُوعُ الْمَسِيحُ نَفْسُهُ حَجَرُ الزَّاوِيَةِ " ( أفسس ٢ : ٢٠ ) . فهل بنى المسيح مسجده - الذى كان يؤدُّ بناءه - على نفسه ..!!!؟

لقد قال المسيح لهم " أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ : الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ  
هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ . مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا " ( متى  
٢١ : ٤٢ ) . وحتى بطرس نفى عن نفسه أن يكون هو الصخرة فقال " وَأَمَّا لِلَّذِينَ  
لَا يُطِيعُونَ فَالْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ " ( ١ بطرس  
٢ : ٧ ) . فالحجر أو الصخرة التى سيقام عليها بيت الصلاة ليس المسيح أو حتى  
بطرس ، وإنما هو الحجر الذى رفضه البنّاؤون ..!!!

لقد تلاعب كاتب إنجيل متى فى الفقرة ( ١٦ : ١٨ ) بكلمتين يونانيتين هما  
( بطروس  $\pi\epsilon\tau\rho\varsigma$  ) كاسم علم للتلميذ سيمعان و كلمة ( بترأ  $\pi\epsilon\tau\rho\alpha$  ) كاسم  
للصخرة .. مع العلم بأنّ المسيح  $\tau\epsilon\tau\rho\varsigma$  لم يتكلم اليونانية حتى يقول ( بطروس  
 $\pi\epsilon\tau\rho\varsigma$  ) أو ( بترأ  $\pi\epsilon\tau\rho\alpha$  ) .

وكلمة بطروس .. معناها حجر ، والحجر قطعة من صخرة . والحجر قطعة  
صغيرة أو كبيرة تحمل وتنقل من مكان لآخر خلاف الصخرة الثابتة فى مكانها .

و بئرا .. معناها صخرة كبيرة ثابتة . هذا هو الفرق بين الكلمتين . وبيت الصلاة  
سيبنى على صخرة ثابتة وليس على حجر متنقل .

والمسيح لم يقم ببناء بيت للصلاة فى حياته وأثناء بعثته ولكنه قال سأبنى  
وبين الصخرة بقوله إنها هى " الْحَجْرُ الَّذِى رَفَضَهُ الْبِنَاوُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ  
الزَّائِيَةِ " . إنه حجر فى بناء قوم المسيح عليه السلام من بنى إسرائيل وليس بحجر  
يونانى . أى أنه حجر فى المبنى الذى أقامه أنبياء بنى إسرائيل . إنه حجر الزاوية  
ورأسها ، الحجر الذى رفضه بنو إسرائيل ، الحجر الذى به تكتمل رسالات الله إلى  
الناس . إنه نبي رفضه بنو إسرائيل !!..

ولنسمع أقوال المسيح عليه السلام بالتفصيل فى تلك القضية كما ذكرها الإنجيلى  
متى فى مثل الكرامين القتلة الذى ضربه المسيح عليه السلام لقومه من بنى إسرائيل ( ٢١ :  
٣٣ - ٤٤ ) من نسخة الآباء اليسوعيين العربية : قال المسيح عليه السلام مخاطبا أحبار  
اليهود : " اسمعوا مثلا آخر : غرس رب بيت كرما . وسيجّه وحفر فيه معصرة  
وبنى بُرجا وأجره بعض الكرامين ثم سافر . فلما حان وقت الثمر ، أرسل خدمه  
إلى الكرامين ليأخذوا ثمره . فأمسك الكرامون خدمه فضربوا أحدهم وقتلوا غيره  
ورجموا الآخر . فأرسل أيضا خدما آخرين أكثر عددا من الأولين ففعلوا بهم مثل  
ذلك . فأرسل إليهم ابنه آخر الأمر وقال : سيهابون ابنى . فلما رأى الكرامون الابن  
قال بعضهم لبعض هو ذا الوارث . هلمّ نقتله ونأخذ ميراثه . فأمسكوه وألقوه فى  
خارج الكرم وقتلوه . فماذا يفعل رب الكرم بأولئك الكرامين عند عودته ..؟

قالوا له : يهلك هؤلاء الأشرار شر هلاك ويؤجر الكرم كرامين آخرين  
يؤدون إليه الثمر فى وقته . قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتاب : " الحجر  
الذى رذله البناؤون هو الذى صار رأس الزاوية . من عند الرب كان ذلك وهو  
عجَبٌ فى أعيننا . لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة تثمر  
ثمره . من وقع على هذا الحجر تهشم ، ومن وقع عليه هذا الحجر حطمه " . فلما  
سمع عظماء الكهنة والفريسيون أمثاله أدركوا أنه يُعرِّضُ بهم فى كلامه فحاولوا  
أن يُمسكوه ولكنهم خافوا الجموع لأنهم كانوا يعدونه نبيا " .

قلت جمال : نجد في هذا المثل الرائع أنّ صاحب هذا الكرم هو الله سبحانه وتعالى ، وأنّ معنى ملكوت الله هنا هو دين الله . قد شبه بهذا الكرم المجهز بكل ما يلزم للانتفاع به . وأنّ هذا الكرم - الذي هو دين الله - قد أحيط بسياج من أحكام الشريعة وحدودها . والكرامون هنا هم بنو إسرائيل ، وعلى رأسهم الأحرار والرؤساء الذين استَحفظوا على دين الله ووصاياهِ <sup>(١)</sup> . وأنّ عبيد صاحب الكرم هم الأنبياء . وأنّ ابن صاحب الكرم كناية عن المسيح <sup>(٢)</sup> .

لقد مكث بنو إسرائيل مدة طويلة متمتعين بنعم الله عليهم التي لا تحصى ولا تعد . ومن أهمها إكرامهم بدين الله المنزل على موسى <sup>(٣)</sup> واختصاصهم بالأفضلية على العالمين ، ولكنهم انحرفوا عن الطريق القويم وقالوا بأنهم أبناء الله وأحبأوه . فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم الأنبياء تترى ليعيدوهم إلى حظيرة الايمان الحق " فجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا " .

وأشربت قلوبهم بالعصيان والجحود وظنوا أنهم الأوصياء على الدين بما استَحفظوا فخانوا وغدروا كما قال بولس : " واستؤمنوا على كلام الله ووصاياهِ " ( رومية ٣ : ٢ ) . فأرسل الله إليهم خاتمة أنبيائهم المسيح عيسى ابن مريم <sup>(٤)</sup> فكفروا به وهموا به كما فعلوا بالأنبياء السابقين . وهنا نجد أنّ المسيح <sup>(٥)</sup> أقام الحجة على أحرار اليهود من قولهم حين ألزمهم بقوله " فماذا يفعل صاحب الكرم مع هؤلاء الكرامين ..؟! "

فأجابوه : يهلكهم هلاكاً ثم يعطى الكرم إلى كرامين آخرين . فألزمهم بقوله الذي قالوه : " لذلك أقول لكم إنّ ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره " . فواجههم عليه السلام بحقيقة المثل المضروب في حقهم . إنّ ملكوت الله وكل امتيازاته لكم سوف تنزع منكم وتعطى لأمة أخرى .

(١) .. يقول بولس في رسالته الرومية ( ٣ : ٢ ) : " لأنهم استؤمنوا على أقوال الله فخانوا وغدروا " .  
(٢) .. يقول ديفد هل ( David Hill ) في شرحه لإنجيل متى ما ترجمته : " أنّ الكنيسة الأولى قد اعتبرت الابن في هذا المثل هو المسيح لكن الرأي الاقتراحي الأصلي في المثل أن الابن يمثل ببساطة آخر رسل الله إليهم " ( تفسير القرن العشرين - إنجيل متى ص ٢٩٩ ) .  
قلت جمال : وتلك شهادة نعتز بها نحن المسلمين . فالمسيح <sup>(٦)</sup> كان حقاً آخر رسل الله إليهم كما نؤمن به .

ورغم وضوح المعنى لقومه من بنى إسرائيل إلا أن الأتباع المسيحيين لا يفهمون ذلك المثل لسيطرة التقاليد الكنسية على العقول والقلوب .  
" إن ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة تثمر ثمره " والملكوت هنا هو دين الله ورسالته إليهم . وهم يعلمون جيدا أن هذه الأمة هي المذكورة فى سفرى التثنية ( ٣٢ : ٢١ ) وفى أشعيا ( ٦٥ : ١ ) .

ولكنهم هنا فى ذلك الموضع يفسرون الأمة بالأمم بصيغة الجمع ..!! ولا يُفسرون معنى الملكوت لأنَّ المُلك والسلطان الذى قالوا به لم يكن مع بنى إسرائيل حتى يُنزع منهم ..!! يقول متى هنرى فى شرحه لهذه الفقرة ما نصه : " ( ويعطى لأمة ) أى للعالم الأُمى . ( تعمل أثماره ) أولئك الذين لم يكونوا شعبا ، وكانوا غير مرحومين أصبحوا أعزاء السماء .. " <sup>(١)</sup> .

قلت : ولكن قوله أولئك الذين لم يكونوا شعبا يفضحه ويدل على أنه يتكلم عن الأمة الأُمية الجاهلة ..!!

وهناك من يتقيد منهم بالمعنى الحرفى ولا يريد أن يفهم مثل الذى قال فى معنى قول المسيح الملكوت لأمة تودى ثمرا " لا نقصد هنا الأمم أى الوثنيين . بل مجموعة تشبه الأمة المقدسة التى ورد ذكرها فى خروج ( ١٩ : ٦ ) . وسيسلم ملكوت الله بعد اليوم إلى أمة مقدسة جديدة هى الكنيسة " <sup>(٢)</sup> ..!!

قلت جمال : ومنذ متى كانت الكنيسة أمة ..؟! وإن كانت جدلا أمة فأى الكنائس يقصد ..؟! وهل يعترفون بأنَّ الكنيسة هى أمة الحمقى عديمة الفهم المنزوعة البصيرة كما وردت صفاتها فى سفر التثنية ( ٣٢ : ٢١ ) ..؟! لقد استؤمن اليهود على أقوال الله فخانونا وغدروا ( رومية ٣ : ٢ ) . فانتهت وكالتهم وامتيازاتهم ، وانتقلت النبوة والرسالة إلى أمة العرب . لتكون هى حاملة لكلام الله وكتابه الكريم .

(١) .. شرح إنجيل متى / ترجمة القمص مرقس داود ج ٢ ص ٢٣٦ .  
(٢) .. دراسة فى الإنجيل كما رواه متى ص ٦٣ للأب اسطفان شربنية .

جاء في التفسير الحديث لجمهرة من دكاترة القسيسين : " أن مجال عمل الله الخلاصى لم يعد فى نطاق أمة إسرائيل ، بل فى أمة أخرى . وليس المقصود هنا الأمم لأن هذا يستلزم استخدام الجمع ( ethnesin ) وليس الفرد ( ethnei ) " (١) .

قلت : وهكذا لن تجد اتفاقا بين أقوالهم لأنها كلها تلفيق وتكذيب . وكما نقول فى المثل الشعبى ( الكذب مالوش رجلين ) !!..

فإن أوقعنا الإسقاط التاريخى على الواقع الملموس والمشاهد ، سوف نجد هذه الأمة واضحة جليلة بدون تدخلات كنسية عفى عليها الزمان . إنها البركة الإلهية الممنوحة لاسماعيل وذريته . والتي تحققت فى أجل صورها بالبعثة الإسلامية وظهور النبى الإسماعيلى ﷺ .

جاء فى سفر التكوين ( ١٧ : ٢٠ ) قول الله لإبراهيم ﷺ " وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمة كبيرة " . وقال أيضا فى التكوين ( ٢١ : ١٣ ) " وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه من نسلك " . وفى التكوين ( ٢١ : ١٨ ) " سأجعله أمة عظيمة " .

وكثر نسل إسماعيل وكونوا قبائل متفرقة سكنت فى أرض شبه الجزيرة العربية وكونوا ما يشبه الشعب وما هو بشعب ، ولم يصيروا أمة واحدة أبدا إلا من بعد ظهور الإسلام . فكانت الأمة الكبيرة التى استأجرها الله على كرمه وزرعه يؤدون ثمره يوم حصاده ﴿ ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار . وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ ( ٢٩ / الفتح ) .

وأما عن قول المسيح ﷺ للأخبار " أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البنائون هو الذى صار رأس الزاوية . من عند الرب كان ذلك وهو عجب

(١) .. التفسير الحديث / إنجيل متى ص ٣٤٤ .

فى أعيننا " . فإنه يحيلنا إلى سفر المزامير ( ١١٨ : ٢٢ - ٢٤ ) لنجد النصّ فيه والذى منه استمد المسيح عليه السلام قوله لهم بنزع الملكوت منهم وإعطائه لتلك الأمة .

والمسيح عليه السلام يذكرهم هنا بما هو مكتوب عندهم . فأنبياء بنى إسرائيل شُبّهوا بأحجار استخدمت فى بناء بيت . وأنّ البنائين اليهود قد رفضوا حجرا معيناً لم يضعوه فى مكانه من البناء . ولكن ذلك الحجر هو الذى صار رأس الزاوية فى البنيان . وهذا الحجر المرفوض هو النبىّ المنتظر من نسل إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهم . شبيهه موسى عليه السلام والذى هو من إخوتهم من العرب .

جاء فى سفر التثنية ( ١٨ : ١٨ ) من النسخة العبرانية : " أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به " . وجاء أيضا فى سفر التثنية ( ٣٤ : ١٠ ) ما يفيد بأنّ ذلك النبىّ لم يأت ولن يأت من بنى إسرائيل . ومنعا لسوء الفهم أذكر هنا النصّ من النسختين العبرانية والسامرية . ففى العبرانية : " ولم يقم بعد نبىّ فى إسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه " . وفى السامرية : " ولا يقوم أيضا نبىّ فى إسرائيل كموسى الذى ناجاه إلهه شفاها " .

ذلك هو النبىّ الذى رفضه بنو إسرائيل . إنه حجر الزاوية الذى تختم به النبوة وتتم به رسالات السماء . والغريب فى الأمر أنّ علماء المسيحية يقولون بأنّ المسيح هو ذلك النبىّ ، مع أنهم يرفضون نبوته عليه السلام !!..

كما أنّ النصّ التوراتى يصرح بأنه لن يكون من بنى إسرائيل . والمسيح يقول معلقا على ذلك بقوله " وهو عجب فى أعيننا " . لقد صار ذلك النبىّ المنتظر هو رأس الزاوية فمن الطبيعى جدا حينذاك أن يقول المسيح عليه السلام " لذلك أقول لكم إنّ ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة تثمر ثمره . من وقع على هذا الحجر تهشم . ومن وقع عليه هذا الحجر حطمه " .

وهذا الوصف لا ينطبق على المسيح عليه السلام بكل المقاييس . فلم يهشم أحدا ولم يحطم أحدا ، تصديقا لما جاء فى إنجيل يوحنا ( ١٢ : ٤٧ ) " وإن سمع أحد

كلامى ولم يؤمن به فأنا لا أدينه لأنى لم أت لأدين العالم بل لأخلص العالم " .  
ولكن النبىء العربى الخاتم ﷺ حطم وهشم الامبراطوريتين الفارسية والرومانية  
لأنهما وقفنا أمام دعوته ولم يؤمنا به .

قال نبىء الاسلام ﷺ فيما رواه عنه البخارى ومسلم فى صحيحهما :  
" إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا  
موضع لبنة من زاوية . فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا  
وضعت هذه اللبنة ..؟! قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين " . وقال ﷺ : " أنا دعوة  
أبى إبراهيم وبشارة عيسى " (١) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها  
عبادى الصالحون ﴾ ( ١٠٥ / الأنبياء ) . وورث نسل إسماعيل الأرض الموعودة  
- من النيل إلى الفرات - ولم يرثها نسل إسحاق ويعقوب . والواقع يشهد ، والعالم  
يشهد . ولم يرفض بنو إسرائيل إلا النبىء المبعوث من نسل إسماعيل بن إبراهيم  
عليهم الصلاة والسلام . فهل بعد ذلك البيان بيان ...؟!

(١) .. حديث صحيح رواه كل من أحمد والحاكم والبيهقى عن العرباض بن سارية . راجع تخريج أحاديث مشكاة  
المصابيح للألبانى ج ٣ ص ١٢٧ .